د. فرست مرعي

الدولة الايوبية في اليمن

(569 - 1173 / 628هـ - 1230م)

اكاديمية التوعية وتأهيل الكوادر
السليمانية ـ 2010

اكاديمية التوعية وتأهيل الكوادر

مؤسسة ثقافية تأسست بموجب قرار صادر عن المؤتمر الثالث للإتحاد الوطني الكردستاني في عام 2010، تتضمن مهامها توفير مستلزمات التوعية السياسية، وتوسيع اطر الثقافة العامة، تعزيز قيم الديمقراطية وحقوق الانسان والعدالة الإجتماعية في المجتمع، ودراسة قضايا الفكر المعاصر وتوفير المواد الضرورية لتأهيل الكوادر في مختلف المجالات.

التصميم و الغلاف: أميره عمر

رقم الإيداع: (1879) لسنة 2010 للمديرية العامة للمكتبات العامة

عدد النسخ: (1000) نسخة

الطبع: مؤسسة حمدي للطباعة والنشر

التسلسل: (356)

من منشورات اكاديمية التوعية و تأهيل الكوادر

مقدمة

الايوبيون احدى الاسر الاسلامية التي حكمت المشرق الاسلامي لاكثر من ثلاثة ارباع القرن اعتباراً من569هـ/ لغاية647هـ/1250م.

وهم ينتمون من ناحية الاصل الى الجنس الكردي، ذلك الجنس الذي يقع موطنه في قلب الاحداث التي عاصرت المشرق الاسلامي إبان عصر الحروب الصليبية , فكان لهم دورلا يستهان به مع اشقائهم العرب والتركمان ومن ثم العمل على تحرير المشرق الاسلامي منهم .

وأما بخصوص الجذور التاريخية للايوبيين فهم ينتسبون الى ايوب بن شادي من بلدة دوين **الواقعة عند آخر** حدود اقليم أذربيجان بالقرب من مدينة تفليس(عاصمة جورجيا الحالية)

في ارمينيا، وجميع أهل ذلك البلد من الكرد الروادية إحدى بطون القبيلة الهذبانية , وهذه القبيلة من أشرف الاكراد ولم يجرعلى احد منهم رق.

غير ان بعض الكتاب من القدامى والمعاصرين أدعو بان الايوبيين هم من الجنس العربي وبالتحديد هم من نسل شادي بن مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين إستناداً الى الرواية التي ذكرها ابن أبي طي: أن المعز بن سيف الاسلام ابا الفدا اسماعيل بن طغتكين بن ايوب ملك اليمن (593-598هـ/1197-1202م) أدعى أنه من بني أمية وعزم على إعادة الخلافة الى بني أمية، فاتخذ لنفسه لقب خليفة وذلك بهدف إضفاء الشرعية على حكمه، غير ان عمه الملك العادل ابوبكر نفى هذا الادعاء وصرح انه من أصل كردي .

المؤلف

في سنة 554هـ / 1159م تمكن أبو الحسن علي مهدي من القضاء على الدولة النجاحية وتأسيس دولة جديدة على انقاضها، أطلق عليها المؤرخون (دولة بني مهدي). وكان علي أبن مهدي في بداية حركته أظهر النسك والزهد والتمسك بالعبادة، كما أنه واصل الحج بلا انقطاع في السنوات من 531 إلى 536هـ [1].

وكان يلقى في رحلاته حجاج العراق ووعاظهم ويستفيد من معارفهم، وقد أهلته هذه المدارسة والمخالطة للسير على خطى علي بن محمد الصليحي، حيث تحول من مجرد ناسك وزاهد الى داعية سياسية على أساس أزأغلب الفرق الإسلامية إن لم نقل كلها، كان منشأها العراق [2].

وتذكر الروايات أن علي بن مهدي كان على جانب كبير من العلم والتقوى ويجيد الخطابة والمناظرة، وكان يحذر

[1]- الشيباني : قرة العيون ، 255.

[2]- محمد الحداد : تاريخ اليمن السياسي ، 78، محمد السروري : الحياة السياسية ، 281.

الناس من الاقتراب من الحكام على أساس أنهم ظلمة فلذا كان لا يقبل الصدقة والهدية منهم [3].

ويظهر أن علي بن مهدي قد استخدم نفس أسلوب الدعاة الإسماعيليين في تكوين دولتهم مثل(علي بن الفضل) و (عبدالله الشيعي)، وهي البدء بالتعبد والزهد والانعزال والحج بقصد جذب الأنصار والإطلاع على مجريات الأمور، ومن ثم دعوة الناس إلى مذهب أهل السنة والجماعة باعتباره مذهب الأكثرية والسائد في المناطق موضوعة البحث، حتى إذا ما أنضم إليه كثيرون، قام بتكوين مجموعة مختارة من هؤلاء تقع على عاتقهم التبشير بالمبادئ المطلوبة الترويج لها، أي بعبارة أخرى التحول من الدعوة الدينية الخالصة إلى الدخول في العملية السياسية التي من أولى مهامها إسقاط الدول أو الكيانات التي تعد في مفهومهم خارجة أو مارقة من الدين. مع ملاحظة أن علي بن مهدي لم يستخدم الأسلوب الشائع آنذاك وهو الانتساب أو التشيع لآل البيت، وإنما بنى أصول حركته على مذهب ((التكفير بالمعاصي والقتل بها وقتل من خالف اعتقاده من أهل القبلة، واستباحة الوطء لسباياهم واسترقاق ذويهم وجعل دارهم دار حرب يحكم فيه

[3]- الشيباني : قرة العيون ، 255 ، عمارة : تاريخ اليمن ، 229.

حكمه في أهل دارالحرب...) [1]، أي مذهب الخوارج الغلاة مثل الأزارقة وفي الفروع على مذهب الإمام أبي حنيفة.

وأستغل علي بن مهدي سيطرة الأحباش على مقاليد الأمور في الدولة النجاحية واستبدادهم بالأمر في سهل تهامة (الواقع على ساحل البحر الاحمر) والمناطق المجاورة لها، بأن حاول إثارة النزعة العنصرية بذكاء عن طريق إثارة حماسة أنصاره ضد هؤلاء الأحباش المحتلين وتخليص اليمن منهم [2] بقوله: (والله ما جعل الله فناء الحبشة إلا بي وبكم، وعما قليل سوف تعلمون... أني أحدثكم فلا أكذبكم وأعدكم فلا أخلفكم وإن كنتم قليلاً لتكثرن أو ضعافاً لتقوون ولتشرفون، واذلاء لتعزن حتى تصيروا مثلاً في العرب والعجم، ليجزي الذين أساؤوا بما **عملوا** ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

فالأناة الاناة فوحق الله العظيم على كل مؤمن موحد لأخذ**منكم** بنات الحبشة وأخواتهم ولأخوانكم أموالهم وأولادهم. ثم قرأ ((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في **الأرض كما** استخلفن الذين من قبلهم...)).

لقد أتخذ بنو مهدي موقفاً عدائياً من أهل السنة، فاضطهدوهم واستحلوا قتل علمائهم وفقهائهم و تدمير

[1]- **عمارة** : تاريخ اليمن ، 236.
[2]- الشيباني : قرة العيون ، 256.

مساجدهم، حتى اضطروهم إلى الفرار خوفاً من القتل، كما أنهم عاثوا في الأرض فساداً فأهلكوا الحرث والنسل [3].، حتى عدهم المؤرخون أسوأ من حكم اليمن في القرون الهجرية الأولى، ولم يكن يعنيهم من حكم البلاد إلا السلب والنهب، لذا تطلع أبناء اليمن إلى الخلاص من ظلمهم وجورهم، فأرسلوا الرسل إلى الخليفة العباسي وإلى الناصر صلاح الدين الأيوبي يستنجدونهم لتخليصهم من هؤلاء الجبابرة العتاه [4].

أما بخصوص جنسية الأيوبيين فإنهم يرجعون في أصولهم إلى الأكراد الروادية، وهم إحدى فروع القبيلة الهذبانية التي كانت قد استقرت في بلدة دوين [5] الواقعة في إقليم الران نهاية إقليم أذربيجان. زعم بعض المؤرخين أن أصول الأيوبيين ترجع الى أرومة عربية وبالذات إلى سلالة الأمويين اعتماداً على إدعاء الملك الأيوب (المعز إسماعيل بن طغتكين) **القائل:** أن بني أيوب أمويون [6]. في الوقت الذي

[3]- أمين سمرة : صفات فقهاء اليمن ، 187- 194.
[4]- **عصام الفقي** : اليمن في ظل الإسلام ومدينة دوين تقع إلى الشرق من مدينة تفليس (تبليسي) عاصمة جمهورية جورجيا ، 204.
[5]- الحنبلي ، أحمد بن إبراهيم : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، 23.
[6]- **الحنبلي :شفاء القلوب** ، 272.

أنكر عمه (العادل أبو بكر) هذا الإدعاء وأثبت أنهم من أصل كردي [1].

وبخصوص الدوافع التي حدت بالناصر صلاح الدين الأيوبي إلى إرسال حملة عسكرية لفتح بلاد اليمن فقد اختلف المؤرخون القدامى حولها، واستنبط منها المحدثون أسباباً أخرى يمكن تلخيصها كالآتي :

1- استياء أهل تهامة من أميرهم عبد النبي بن علي بن مهدي الذي تمادى في سفك الدماء ونهب الأموال وتخريب العمران، لذا طلبوا من صلاح الدين إنقاذهم من نير عبد النبي بن مهدي الذي زعم أن دولته تطبق الأرض وأن ملكه يسير مسير الشمس [2].

2- طلب الشريف قاسم بن غانم صاحب المخلاف السليماني النجدة من الخليفة العباسي المستضيء بالله لإنقاذ أهل اليمن من بطش وظلم ابن مهدي، فأمر الخليفة العباسي صلاح الدين يوسف بن أيوب بتخليص بلاد اليمن من ابن مهدي، وسبق لأبن مهدي

[1]- المصدر نفسه : 22.
[2]- ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، 75.

أن قتل(وهاس بن غانم) اخو(الشريف قاسم بن غانم) وعدداً من أهل حرض سنة 551هـ [3].

3- استغل الشاعر اليمني عمارة صلة الصداقة التي تربطه بتورانشاه بن أيوب، لإقناعه بالاستيلاء على بلاد اليمن لنفسه، لكثرة خيراتها وكثرة أموالها مع ضعف حكامها، ولما كان تورانشاه كثير النفقات، ولم يكن إقطاعه بمصر كافياً للوفاء باحتياجاته، فقد لقي الطلب استجابته، فأستأذن أخاه صلاح الدين لكي يسمح له بالقيام بحملة للاستيلاء على اليمن فأذن له [4].

4- تحريض عمارة اليمني فخر الدولة تورانشاه للذهاب إلى اليمن، لصرف أنظار الأيوبيين عن مصر، لتشتيت قواهم العسكرية في أكثر من جهة، حتى تتاح الفرصة لأعوان العبيديين (الفاطميين) لجمع شملهم وإحياء خلافتهم في القاهرة من جديد بمساعدة الصليبيين [5].

[3]- أبوشامة : الروضتين ، 1/ 554. الشيباني : قرة العيون ، 267.
[4]- أبوشامة : الروضتين ، 1/ 552.
[5]- ابن واصل : مفرج الكروب ، 228.

5- خوف صلاح الدين من أن يعزله مولاه نور الدين محمود زنكي عن ولاية مصر بسبب تباطوء صلاح الدين لتنفيذ أوامر نور الدين بالذهاب إلى حصن الكرك لمحاربة الصليبيين، لذا حاول صلاح الدين إيجاد موطئ قدم له يلجأ إليها إذا طرده نورالدين من مصر [1].

6- قوة جيش صلاح الدين وكثرة أخوته وشدة بأسهم، وما بلغه من أمر أبن مهدي وتغلبه على مناطق كثير من بلاد اليمن، وحرقه الحرث وإهلاك النسل، وإقامته الخطبة لنفسه دون الخلافة العباسية [2].

7- أراد صلاح الدين من إرسال أخيه تورانشاه على رأس حملة عسكرية لفتح بلاد اليمن تأمين طرق القوافل التجارية القادمة من الصين والهند إلى مصر عبر اليمن، لأن حركة التجارة كانت قد انتعشت في العهد العبيدي (الفاطمي) وبدأ نشاطها يقل بمجيء العهد الأيوبي، وهذا مما أثر على العوائد المالية التي كانت مصر تجنيها من هذه التجارة [3].

[1]- الجندي : السلوك ، 2 / 526 ، عبدالعل : الأيوبيون ، 70.
[2]- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 1/ 273. أبوشامة : الروضتين ، 1/ 216.
[3]- أمين صالح : دولة الخوارج في اليمن ، 141- 142 ،

ومهما يكن من أمر فإن هذه الأسباب هي اجتهادات من المؤرخين الذين حاولوا كشف دوافع الفتح الأيوبي لليمن، ولكن يبدو أن صلاح الدين أراد قبل محاربة الصليبيين تأمين الجبهة الداخلية من خلال توحيدها والقضاء على كل ما من شأنه أن يعكر صفوها، ومن ثم التفرغ للصليبيين، وهذا يثبت بجلاء في الرسالة التي وجهها إلى الخليفة العباسي مبيناً فيها جهوده في فتح مصر واليمن وصموده أمام التحديات الخارجية، وطلبه من الخليفة تقليداً بتوليته البلاد التي فتحها وما يفتحه بعد ذلك [4]، كما تطرق في رسالته إلى أسباب فتحه لليمن بقوله ((وكان باليمن ما علم من أمر ابن مهدي الضال الملحد، المبتدع المتمرد، وله آثار في الإسلام دثار، طالبه النبي (صلى الله عليه وسلم) لأنه سبى الشرائف الصالحات وباعهن بالثمن البخس، واستباح منهن كل ما لا يقر لمسلم عليه نفس، ودان ببدعة ودعا إلى قبر أبيه وسماه كعبة.. فأنهضنا عليه أخانا بعسكرنا – بعد أن تكلفنا له نفقات وأسلحة رائعة

[4]- عبد العل : الأيوبيون ، 78.

– وسار، فاخذنه ولله الحمد، وأنجز الله فيه القصد))[1]، وبعد أن أستعرض صلاح الدين في رسالته للخليفة العباسي فتوحاته و حروبه قال: ((والمراد الآن هو كل ما يقوي الدولة، ويؤكد الدعوة ويجمع الأمة... ويفتح بقية البلاد، وأن يطبق بالاسم العباسي كل ما تطبقه العهاد)) [2].

وهكذا نجد أن صلاح الدين كان يحاول جاهداً القضاء على كل المذاهب المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة (مذهب الخلافة العباسية) من شيعة وخوارج حتى يتحقق توحيد الجبهة الإسلامية ضمن منظومة فكرية واحدة، حتى تستطيع بعد ذلك التصدي للصليبيين وإخراجهم من بلاد الشام.

تورانشاه وفتح بلاد اليمن

في سنة 569هـ استأذن صلاح الدين مولاه نور الدين محمود زنكي في إرسال حملة عسكرية لفتح اليمن، وبعد أن تمت الاستعدادات تحرك شمس الدولة تورانشاه الملقب بفخر الدين الأخ الأكبر لصلاح الدين على رأس جيش يتكون من

[1]- ابن واصل : مفرج الكروب ، 2/ 486- 493. أبوشامة : الروضتين ، 1/ 241- 243.
[2]- المصدران نفسيهما.

ثلاثة آلاف مقاتل خرجت حملة من مصر نحو اليمن في رجب سنة 569هـ وكان خط سيرها من القاهرة عبر نهر النيل إلى مدينة قوص، ومنها بطريق البر إلى ميناء عيذاب على ساحل البحر الأحمر، ثم عبرت الحملة البحر الأحمر حتى وصلت ميناء قباء جده، ومنها سارت بطريق البر إلى مكة لأداء مناسك العمرة، ثم أخذت الحملة طريقها جنوباً نحو بلاد اليمن عن طريق البر [3].

وبعد أن وصلت الحملة بقيادة تورانشاه إلى مدينة (حرض) من أرض اليمن حتى خرج لاستقبالها حاكم المخلاف السليماني الأمير قاسم بن غانم بن يحيى السليماني مرحباً به ومعلناً فروض الطاعة والولاء له، ومبدياً استعداده لمناصرته ضد عدوهما المشترك ابن مهدي.

غادر تورانشاه مدينة حرض في بداية شهر رمضان 569هـ بصحبة الشريف قاسم بن غانم إلى زبيد، فلما علم عبدالنبي بن مهدي بوصول الجيش الأيوبي وتعاون الشريف قاسم بن غانم معه انتقاماً، سارع بالخروج من مدينة زبيد على رأس جيشه لمباغتة الجيش الأيوبي وحاول ابن مهدي إثارة حماسة جنده بقوله : ((كأنكم بهؤلاء وقد حمى عليهم الحر

[3]- أبوشامة : الروضتين 1/ 554.

فهلكوا وما هم إلا أكلة رأس)) ولكن قوات ابن مهدي لم تستطع الوقوف أمام الجيش الأيوبي، حيث ألحق بها الأيوبيون هزيمة نكراء، وانهزمت قوات ابن مهدي وحاولت الدخول إلى مدينة زبيد لاحتماء بسورها، ولكن الأيوبيين استطاعوا تعقب فلول جيش ابن مهدي المهزوم، وحاصرته في زبيد، ثم نصبوا السلالم وتسلقوا السور ونزلوا إلى المدينة حيث استولوا عليها عنوةً [1]. في التاسع من شوال، أي في اليوم الثالث من محاصرة الجيش الأيوبي لها، تم أسر عبد النبي بن عبي بن مهدي وجميع أفراد أسرته، حيث تمت تصفيته فيما بعد، واستولى تورانشاه على جميع أموال وكنوز وخيول أسرة بني مهدي، ثم غادر الشريف قاسم بن غانم وبصحبته أتباعه عائدين إلى المخلاف السليماني [2]. بعد أن ساندوا تورانشاه.

وبعد أن أعاد تورانشاه الأوضاع إلى طبيعتها في مدينة زبيد وأصلح أمورها، دان أهلها بالطاعة والولاء له، وأعاد الخطبة للخليفة العباسي [3]، وخطب له بعد الخليفة في جميع ما فتحه بعد ذلك من البلاد. ثم غادر تورانشاه زبيد في أوائل شهر ذي العقدة سنة 569هـ بغية فتح جميع الحصون والقلاع

[1]- ابن واصل : مفرج الكروب 1/ 241.
[2]- عبد العال : الأيوبيون ، 86.
[3]- ابن واصل : مفرج الكروب ، 1/ 242 ، ابن الأثير : الكامل : 11/ 178.

التابعة لبني مهدي، فسار إلى مدينة الجند واستولى عليها، ومنها توجه إلى مدينة تعز فدخلها ولم ينازعه احد، ثم سار إلى حصن صبر وذخر بالقرب من تعز ولكنه لم يستطع السيطرة عليهما بسبب مناعة حصونهما واستبسال أهلها وصمودهم، وعدم توفر الوقت الكافي له ولجيشه لاستمرار فرض الحصار [4]، ففضل تركهما لمناسبة قادمة.

سقوط دولة بني زريع الإسماعيلية

بعد أن أسقط تورانشاه عاصمة بني مهدي وقضى عليهما، أجل فتح بقية حصونهم إلى ما بعد الاستيلاء على عدن والقضاء على الدولة الزريعية الإسماعيلية، وما أن اقترب الجيش الأيوبي من عدن، حتى خرج لمحاربتهم جيش بني زريع بقيادة وزيرهم ونائبهم على عدن ياسر بن بلال المحمدي، فدارت معركة كبيرة بين الطرفين أسفرت عن هزيمة جيش بني زريع، وحاولوا الانسحاب إلى قاعدتهم في عدن، ولكن تورانشاه فوت عليهم الفرصة، فأثناء ما كان القتال محتدماً أرسل تورانشاه فرقة من جيشه تمكنت من

[4]- السروري : الحياة السياسية ، 312.

الاستيلاء على عدن في العشرين من ذي العقدة سنة 569هـ، وهكذا وقع غالبية جيش بني زريع بين أسير وهارب [1]،

وخلال عملية دخول الجيش الأيوبي إلى عدن تعرضت المدينة لحالات من النهب كما تؤكده المصادر اليمنية، بينما يذكر ابن أثير أن الجنود الأيوبيين حاولوا نهب المدينة ولكن تورانشاه منعهم من ذلك وقال لهم: ((ما جئنا لنخرب البلاد، وإنما جئنا لنملكها ونعمرها، وننتفع بدخلها، فلم ينهب أحد منها شيئاً)) [2].

وبدخول تورانشاه إلى عدن انتهت الدولة الزريعية، وبعد أن أقام فيها تورانشاه لبعض الوقت لتنظيم امورها غادرها في منتصف شهر ذي الحجة باتجاه مخلاف جعفر (إب) إلى الشمال من عدن حيث استولى على حصن التعكر في الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة 569هـ.

[1]- الشيباني : قرة العيون ، 267.
[2]- الكامل في التاريخ ، 11 / 178.

فتح صنعاء ومحاولة إسقاط دولة بني حاتم

بعد أن سيطر تورانشاه على عدن تحرك نحو الشمال حيث استولى على حصن التعكر ثم تقدم باتجاه صنعاء، وقد اعترضت طريقه قبيلة جنب بني ذمار، حيث تمكن في محرم 570هـ من السيطرة على حصن دروان شرق ذمار التابعة للشيخ عبدالله بن يحيى الجنبي الذي لم يستطع مجابهته، حيث صالحه ومنحه الطاعة والولاء بعد ذلك توجه الأيوبيون نحو حصن المصنعة قرب ذمار التابع للشيخ محمد بن زيد اليعبري الجنبي فسيطروا عليه دون قتال، ثم استمر الأيوبيون في تحركهم صوب ذمار، فلما اقتربوا منها اعترضتهم قبيلة جنب في موضع يسمى (الرخمة) شرق ذمار فدارت معركة شديدة بين الجانبين كان النصر فيها حليف الأيوبيين حيث دخلوا ذمار رغم خسارتهم لخمسة وستين من مقاتليهم.

وبعد مضي عدة أيام وأثناء تحرك الأيوبيين قاصدين صنعاء تصدت لهم مرة أخرى قبيلة جنب، وجرت معركة عنيفة كان من شدتها أن حرض شمس الدولة تورانشاه جنوده على القتال قائلاً لهم: ((أين أنتم من ديار مصر، قاتلوا عن أنفسكم وإلا أكلتكم العرب))، فقاتلوا قتال من يريد الموت حتى ألحقوا الهزيمة بقبيلة جنب وقتلوا منها سبعمائة رجل، ولم

يكتف تورانشاه بذلك بل طاردهم حتى الجأهم إلى حصن هران واستولى على عدد كبير من خيلهم وفي ذلك يقول الشاعر :

وقال لجنده موتوا كراماً فأين ديار مصر من ذمار [1]

بعد ذلك واصل تورانشاه تقدمه نحو صنعاء، فوصل إلى منطقة الجبوب إحدى ضواحي صنعاء الواقعة في جنوبها الشرقي. أما بخصوص السلطان علي بن حاتم اليامي، فإنه لما علم بقدوم الأيوبيين وأيقن بأنه لن يستطيع الصمود أمامهم، نقل خزائنه وسلاحه وكل ما يهمه من صنعاء إلى حصن براس الواقع في سفح جبل نقم شرق صنعاء وتحصن فيه مع أخيه ومن معهما، وأمر بتخريب سور صنعاء حتى لا يفكر الأيوبيون بالاستقرار فيه، لأن إعادة بناء السور يكلفهم وقتاً وجهداً ومالاً هم في غنى عنه [2].

ورغم خوف أهل صنعاء من تورانشاه فإن جماعة من وجهائهم خرجوا إلى شمس الدولة لطلب الأمان منه فاستحضر جماعة من رؤسائهم لمناقشتهم في أمور الدين، ثم

[1]- الشيباني : قرة العيون ، 269.
[2]- السروري : الحياة السياسية ، 316.

دخل بعد ذلك صنعاء دخولاً معظماً، فأقام بها عدة أيام ثم غادرها بسبب عدم توفر الميره [3].

ثم عزم شمس الدولة تورانشاه على مغادرة صنعاء باتجاه زبيد، حيث أتخذ طريق نقيل السود – في بلاد بني شهاب وسنحان إلى الجنوب من صنعاء – عائداً إلى تهامة، فتعرضت مؤخرة جيشه لمهاجمة قبائل برع عند عبوره تلك المنطقة استولوا على قدر كبير من خزائن وأثقال الجيش، وكانت أموال جزية من الذهب والفضة والآلات النفيسة التي سبق وأن استولى عليها أثناء سيطرته على زبيد وعدن [4].

ومع ذلك فلم يحاول تورانشاه مقاتلتهم ولم يعر الأمر التفاتاً بل أستمر في سيره إلى زبيد [5].

لم يبق تورانشاه في زبيد كثيراً بعد عودته من صنعاء، بل غادرها في جمادي الأولى سنة 570هـ قاصداً مدينة الجند، فلما وصلها أسرع إليه والي حصن صبر- وكان تابعاً لعبد النبي بن علي بن مهدي – وسلمه مفاتيح حصنه معلناً ولاءه وطاعته له، ثم توجه تورانشاه إلى فتح حصون مخلاف

[3]- أبوشامة : الروضتين ، 1/ 554.
[4]- الشيباني : قرة العيون ، 269.
[5]- الخزرجي : العسجد ، 151.

المعافر الواقع غرب تعز، فاستولى على حصني بادية وشرياق التابعين لبني مهدي، ثم توجه إلى حصن غزان ذخر (جبل حبشي) وحاصره، ولكن الحصار لم يستمر طويلاً، لقيام صاحبه علي بن الحجاج صهر عبد النبي بن مهدي بتسليمه مع ما كان من ذمته من أموال خاصة بعبد النبي بن مهدي والتي تقدر بعشرة آلاف دينار ذهب، على أن يخلي سبيله ومن معه، فقبل شمس الدولة منه ذلك وتسلم الحصن [1].

ولاستكمال فتح بقية حصون مخلاف المعافر فقد استولى تورانشاه على حصن يمين بالقوة وكان متوليه الأمير منصور بن محمد بن سبأ الزريعي والذي أنهزم بسبب هروب القوة المتمركزة فيه، كما فتح حصني منيف والسمدان [2].

ثم سار شمس الدولة إلى حصن الدملوة وفيها أولاد الداعي عمران بن محمد بن سبأ الزريعي تحت وصاية جوهر المعظمي، فحاصره لفترة قصيرة، ثم رفع عنه الحصار وتركه لقوة تحصيناته وارتفاعه، لأن المجانيق التي نصبها لم تصل إليه ويحتاج إلى وقت طويل لمحاصرته وإسقاطه فتركه تورانشاه وسار إلى جبلة [3].

[1]- المصدر نفسه ، 152- 153.
[2]- الشيباني : قرة العيون ، 269.
[3]- الخزرجي : العسجد ؛ 152.

وأثناء إقامته بجبلة ترامت إليه الأنباء بحدوث اضطرابات في مدينة زبيد اثارها بعض المناصرين لأبن مهدي، فما كان منه إلا أن أمر بقتل أخوي عبدالنبي بن علي بن مهدي وهما : أحمد ويحيى، فقتلا في رجب سنة 570هـ [4]. وبعد إقامة قصيرة في مدينة جبلة غادرها باتجاه زبيد فوصل إليها في الثالث عشر من شعبان سنة 570هـ.

وهكذا تمكن تورانشاه من فتح غالبية حصون وقلاع بلاد اليمن، حيث يذكر الحنبلي أنه فتح وحده ثمانين حصناً ومدينة، وأن نواب القلاع أرسلوا مفاتيحها إليه طوعاً وبدون قتال [5]، وفي رواية أنه فتح بلاد حضرموت وأناب عنه رجلاً كردياً يدعى هارون [6]. ويبدو أن عدة عوامل ساعدت في انتصار شمس الدولة تورانشاه منها : حالة الانقسام والتدهور الداخلي التي كانت تعصف بالبلدان اليمنية، حيث كانت بلاد اليمن منقسمة بين عدة دويلات مذهبية، فبنو مهدي خوارج كانوا يحكمون تهامة والأجزاء المجاورة لها، وبنو حاتم وبنو زريع إسماعيلية يحكمون صنعاء وعدن، وأصحاب المخلاف السليماني سنه، بجانب وجود الزيدية في منطقة صعده،

[4]- الخزرجي : العسجد ، 152.
[5]- شفاء القلوب ، 52.
[6]- أبوشامة : الروضتين ، 1/ 26.

يضاف إلى ذلك المقدرة القتالية والتنظيمية العالية للجيش الأيوبي رغم قلة عدده لو قورن بجيوش الدويلات اليمنية وأصحاب القلاع والحصون، كما لا يمكن تجاهل شجاعة وحزم تورانشاه.

وبعد ان استتب لتورانشاه الأمر حاول إيجاد عاصمة له من بين المدن والقلاع اليمنية التي فتحها فوقع اختياره على (تعز) فعمل على اختطاطها، وأتجه للإقامة فيها سنة 570هـ حتى شهر رجب سنة 571هـ [1]، ويظهر أن اختياره لهذه المدينة جاء اعتبه بأن أهلها ميالين إلى المسالمة والموادعة، بجانب كونهم ينتمون إلى أهل السنة والجماعة الذي يعتنقوه الأيوبيون، إضافة إلى أنه كلف الأطباء أن يختاروا له مكاناً صحيحاً لهؤلاء ليتخذ فيه سكناً، فوقع اختيارهم على مكان تعز، فاختط به المدينة ونزل فيها[2].

بعد ذلك فكر شمس الدولة في ترك اليمن والذهاب إلى الشام، وبعد عدة مراسلات بينه وبين أخيه صلاح الدين سمح له الأخير بترك اليمن بعد أن أقام فيها سنتين، وقد ذكر المؤرخون عدة أسباب حدت به إلى مغادرة اليمن منها: أنه

[1]- السروري : الحياة السياسية ، 319.
[2]- ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، 5/ 647.

كره المقام باليمن، ولم تعجبه تلك البلاد لجدبها، وأنه اشتاق إلى الشام لكثرة خيراتها، فكتب إلى صلاح الدين يبدي ضجره من المقام في اليمن، ويستأذنه في العودة إلى الشام، ولكن صلاح الدين رفض طلبه، وطلب منه البقاء موضحاً له أن اليمن بلد مبارك وديار واسعة كثيرة الخيرات والأموال، ولكن صلاح الدين وافق في النهاية تحت ضغط أخيه على السماح له بترك اليمن [3].

وحالما استقر رأي تورانشاه على مغادرة اليمن، فأنه استخلف على المناطق التي سيطر عليها الأيوبيون أربعة نواب له: فاستخلف أبا الميمون المبارك بن منقذ على زبيد وما يليها من التهائم جنوب المخلاف السليماني، وجعل عثمان بن علي الزنجيلي على عدن وأعمالها جنوبي اليمن، أما مملوكه ياقوت التعزي فقد أنابه على تعز وأعمالها في الجزء الجنوبي من اليمن الأسفل، كما جعل مظفر الدين قايماز على حصن التعكر وذي جبلة والجند ومخلاف جعفر ونواحيها في الجزء الشمالي من اليمن الأسفل، وجعل في كل قلعة نائباً من أتباعه[4].

[3]- الشيباني : قرة العيون ، 271.
[4]- ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، 131 ، عبد العال : الأيوبيون ، 103.

ومهما يكن من أمر فإن شمس الدولة تورانشاه قد أنجز المهمة التي جاء من أجلها، لذا سمي بالملك المعظم، إذ تم له السيطرة على المدخل الجنوبي لبحر القلزم (الأحمر)، وتم تأمين الحدود الجنوبية للدولة الأيوبية القاضية بعدم فسح المجال للتعاون بين الكيانات الصليبية في بلاد الشام والحبشة النصرانية، كما تم القضاء على بقايا النفوذ الشيعي العبيدي (الفاطمي) في بلاد اليمن المتمثلة في السلطتين الحاتمية في صنعاء والزريعية في عدن، وهذا ما جعل اليمن يصبح من جديد تابعاً للخلافة العباسية، كان من أبرز مظاهره إعادة الخطبة للخليفة العباسي المستضيء بالله.

لقد ترك تورانشاه اليمن بعد أن جعلها تابعة له، وظل نوابه يرسلون إليه ما يجبونه من أموال، فلما توفي تورانشاه في الإسكندرية سنة 576هـ أختلف نوابه على اليمن فيما بينهم وسادت الفوضى بينهم وتغلب كل منهم على ما تحت يده وامتنعوا عن مواصلة إرسال الأموال التي كانوا يبعثونها إلى تورانشاه، واستقلوا بمواضعه وأدعى كل منهم الملك لنفسه، وضرب كل منهم سكة خاصة به وحرم على أهل ولايته التعامل بغيرها، وخطب لكل منهم على المنابر [1]. وكان

[1]- عبد العال : الأيوبيون ، 107.

عثمان الزنجيلي أقوى هؤلاء الأمراء شأناً فهاجم ما تحت يد نائب حصن التعكر وذي جبلة والجند مظفر الدين قايماز وانتزعها من يده نظراً لضعفه، ولم يكتف بذلك، بل زحف بجيشه المؤلف من الأيوبيين واليمنيين المناصرين له إلى حضرموت التي كانت قد نشأت فيها عدة أسر حاكمة هم آل راشد في منطقة تريم، وبنو الدغار في شبام، وآل إقبال وآل فارس في الشحر وكانوا على مذهب الإمام الشافعي، وقد التقى الزنجيلي بجيش هؤلاء الأمراء الحضارمة وانتصر عليهم في المعركة التي جرت بينهما في الرابع من ذي الحجة سنة 575هـ ودخل عاصمتهم تريم وقبض على جماعة من أمرائهم وأعتقلهم في عدن [2].

أما سيف الدولة مبارك بن منقذ – نائب تورانشاه على زبيد – فإنه كان يحكم في الأموال والبلاد، بعد أن فارقها شمس الدولة وضبط حكم المناطق التي بحوزته، وفي أيامه ظهر أحد الصوفية ويدعى مبارك بن حلف وأخذ يعظ الناس فمال

[2]- يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، 326- 327 ، با مخرمة : قلادة الفجر ، 2/ 760.

إليه كثر من الناس والتفوا حوله، فخشي ابن منقذ أن يسلك هذا الصوفي نفس مسلك آل مهدي في تكوين دولته [1] فقتله.

القضاء على نفوذ نواب تورانشاه

لما رأى صلاح الدين الأيوبي استقلال نواب أخيه تورانشاه كل ما تحت يديه من مناطق، أدرك بثاقب نظره أن عليه توحيد بلاد اليمن في ظل قيادة واحدة قبل أن تفلت الأمور إلى غير رجعة وأن تخرج اليمن من السيطرة الأيوبية، حيث كان الصراع قد احتدم إلى حد كبير بين نواب أخيه، لهذا جهز حملة تأديبية بزعامة صارم الدين خلطبا والي القاهرة للقضاء على الفتن الناشبة هناك [2] وفي جمادي الآخرة 577هـ تحرك خلطبا مع قوة كبيرة قاصداً اليمن ومعه كتاب من صلاح الدين إلى نواب تورانشاه باليمن يخبرهم أن يسيروا معه لحرب خطاب بن منقذ والي زبيد الذي خرج عن طاعة الأيوبيين وسار خلطبا بحملته عن طريق البحر إلى أن وصل إلى عدن، فاستقبله واليها عثمان الزنجيلي، وسار معه إلى زبيد، ولما وصلوا إلى الجند أنضم إليهما ياقوت التعزي من تعز ومظفر الدين قايجاز من ذي جبلة، وسار الجميع

[1]- الخزرجي : العسجد ، 175 ، محمد عبد العال : الأيوبيون ، 108.
[2]- عبد الكريم غرابيه : العرب والأتراك ، 247.

قاصدين زبيد ولما علم حطان بن منقذ بقدوم هذا التجمع الكبير، وعرف بأنه غير قادر على التصدي لهم ومقاومتهم، ترك زبيد والتحق بأحد الحصون القريبة منها وهو حصن (قوارير)، وهذا ما سنح الفرصة لخلطبا وجيشه لدخول زبيد دون قتال، وبعد ذلك عاد كل والي إلى مكان عمله بعد أن أدوا مهمتهم، وتولى خلطبا ولاية زبيد [3].

أما حطان بن منقذ فقد ظل يتحين الفرص للاقتضاض على زبيد واستعادتها، حيث كان يغير على أطراف المدينة بين الحين والآخر، ثم فجأة غير أسلوبه وبدأ يتودد إلى خلطبا وأخذ يراسله ويرسل إليه الهدايا أملا في كسب وده، وقد تحقق له ما أراد حيث توطدت العلاقة بينهما. إذ لم يمض وقت طويل حتى مرض خلطبا مرضاً شديداً، فلما أحس بدنو اجله أرسل في استدعاء حطان بن منقذ سراً من حصن قوارير، فدخل الأخير مدينة زبيد سراً واجتمع مع خلطبا حيث سلمه المدينة وقال له ((تسلم البلاد فأنت أولى بها)) [4] من عثمان الزنجيلي، ومات خلطبا في ليلته وتسلم المدينة حطان، واستعاد نفوذه، وأطاعه الناس لجوده وشجاعته [5]. ولما علم

[3]- الخزرجي : العسجد ، 158 ، محمد عبد العال : الأيوبيون ، 112 – 114 ، السروري : الحياة السياسية ، 236- 237.
[4]- السروري : الحياة السياسية ، 238 نقلاً عن السمط لابن حاتم.
[5]- ابن الأثير : الكامل ، 11/ 213.

عثمان الزنجيلي بما حدث في زبيد، جمع جيشه وتوجه من عدن قاصداً تهامة ولما وصل إلى الجند أتفق مع ياقوت التعزي على حرب حطان فسارابجيشهما نحو زبيد، وحاصرها لعدة أيام، وفي تلك الأثناء قام حطان بشن هجوم اعتراضي على جيش الزنجيلي وحلفائه مما أدى إلى تكبيدهم خسائر ليست بالقليلة، وهزيمتهم باتجاه تعز، واستمر حطان في مطاردتهم إلى أن أوصلهم إلى الجند حيث جرت معركة كبيرة بين الجانبين في منطقة مصلبيح أسفرت عن عقد صلح، بمقتضاها يتخلى الزنجيلي عن منطقة الجند وحصون ذخر (جبل حبش) وإعادتهما إلى واليها السابق ياقوت التعزي، بهدف الحد من سلطته وتقليص نفوذه، فيما رجع حطان إلى زبيد ودخلها في شعبان سنة 579هـ [1].

ويظهر مما تقدم أن مجيء خلطبا إلى اليمن ساعد إلى حد كبير في توطيد النفوذ الأيوبي والقضاء على الصراعات والفتن التي نشبت بين نواب تورانشاه بعد وفاته، غير أن وفاة خلطبا ولما يمضي على بقائه غير سنة واحدة في اليمن، أعاد الأمور الى ما كانت عليه، حيث تجددت الصراعات بين نواب تورانشاه واضطربت أحوال البلاد، وقد صادفت تلك

[1]- الجندي : السلوك ، 2/ 526.

الأوضاع السائدة في اليمن آنذاك، تعرض الأماكن المقدسة في الحجاز لمؤامرة قادها البرنس أرناط أمير حصن الكرك الصليبي تجلت في قيامه بقيادة حملة بحرية في بحر القلزم (الأحمر) بغية السيطرة عليه ومن ثم السير نحو المدينة المنورة بهدف الاعتداء على المسجد النبوي الشريف وإخراج قبر الرسول صلى الله عليه وسلم من صريحه الطاهر، والعمل على قيام اتحاد نصراني بين دولة الحبشة النصرانية والقوى الصليبية في بلاد الشام [2].

وهكذا توجه أرناط بحملته البحرية سنة 578 نحو البحر الأحمر قاصداً سواحل الحجاز واليمن بقصد قطع طريق الحج، وقد تمكن من إحراق ستة عشر مركباً للمسلمين، ثم توجه ارناط مع حملته البحرية إلى ميناء عيذاب على ساحل البحر الأحمر حيث نهب منها قافلة تجارية كبيرة كانت قادمة من مدينة قوص المصرية إلى ميناء عيذاب، وقتل جميع أفرادها، كما نهب مركبين تجاريين قادمين من اليمن، إضافة إلى إحراقه كميات كبيرة من الأطعمة كانت معدة لإطعام مكة والمدينة [3].

[2]- نظير سعداوي : التاريخ الحربي المصري ، 144.
[3]- ابن جبير : رحلة ابن جبير ، 34.

وقد أشار ابن شامة في كتابه (الروضتين في أخبار الدولتين) إلى الرسالة التي بعثها صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة العباسي المستضيء بالله حول اعتداءات أرناط على قوافل الحجاج ومما جاء فيها : ((وأما الطريق القاصد إلى سواحل الحجاز واليمن (أرناط) أن يمنع الحاج عن حجه، ويحول بينه وبين فجه، وأخذ تجار اليمن و أكارم عدن، ويلم بسواحل الحجاز فيستبيح المحارم ويهيج جزيرة العرب بعظيمة دونها العظائم)) [1].

وأمام هذا الخطر المحدق بالحرمين الشريفين أرسل الناصر صلاح الدين من دمشق إلى أخيه الملك العادل في مصر يأمره بالقضاء على حملة أرناط البحرية، فجهز العادل حملة بحرية بقيادة حسام الدين لؤلؤ أسرعت في تعقب أرناط في بحر القلزم (الأحمر) وتتبع حركة سيره، حتى استطاعت اللحاق بهم في شوال 578هـ وهزيمتهم وأسر الكثير من أتباعهم ونقل بعضهم إلى مكة والمدينة لكي يضحي بهم جزاء لما اقترفوه بحق الحجاج المسالمين [2] .

[1]- 2 / 37.

[2]- ابن جبير : رحلة ابن جبير ، 25.

وكان بإمكان القوى الأيوبية المتواجدة في ربوع اليمن القيام بمهمة حماية المدن المقدسة في الحجاز باعتبارها حماية الحدود الجنوبية للدولة الأيوبية والأقرب جغرافياً إلى بلاد الحجاز، ولكن الخلافات التي كانت سائدة بين النواب الأيوبيين في اليمن، حالت دون القيام بهذه المهمة. مما حدا بصلاح الدين إلى إرسال أخيه طغتكين إلى اليمن ليتولى المسؤولية فيها ويتخلص من سلطة النواب فيها، ويعمل على استقرار الأوضاع والقضاء على الفتن الناشبة هناك [3].

سيف الإسلام طغتكين وحملة اليمن

جهز صلاح الدين الأيوبي حملة بقيادة أخيه سيف الإسلام طغتكين مكونة من ألف فارس وخمسمائة راجل، فخرجت الحملة من مصر سنة 579هـ متوجهة إلى اليمن، حيث اتخذت الطريق المعتاد وهو السير في النيل إلى مدينة قبرص، ومنها سارت براً إلى عيذاب المصرية وعبرت البحر الأحمر إلى ميناء جدة. ثم دخلت الحملة إلى مكة حيث أعتمر طغتكين في الثالث من رمضان سنة 579هـ واستقبله أمير مكة مكثر بن فلتيه فخلع عليه طغتكين خلعة حسنة لم ير مثلها. وبعد أن

[3]- نظير سعداوي : التاريخ الحربي المصري ، 44.

مكث طغتكين أسبوعاً في مكة سار بجيشه قاصداً اليمن في العشر من رمضان سنة 579هـ فوصل إلى زبيد في الثالث عشر من شوال سنة 579 هـ [1].

ولما علم حطان بن منقذ بقدوم طغتكين إلى اليمن، حتى هرع إلى مدينة الكدراء لاستقباله، فلما وصلها ترجل له طغتكين وخلع عليه وعلى عسكره وقال له: ((أنت أخي بعد أخي))، ثم ساروا جميعاً إلى مدينة زبيد فدخلوها في الثالث عشر من شهر شوال سنة 579هـ، بعد أن ولى حطان على حصن قوارير [2].

وقد أثار مجيء طغتكين إلى اليمن حفيظة بعض النواب، فإن حطان بأنه لن تستقيم له قناة مع طغتكين، لذا طلب منه السماح له بالعودة إلى الشام، فلما وافق طغتكين، تجهز حطان وأخرج أهله وأثقاله وما كان بحوزته من الأموال التي جمعها باليمن إلى الجنايز – خارج مدينة زبيد – فلما عزم على مغادرة اليمن ذهب ليودع السلطان طغتكين، فأمر الأخير بإلقاء القبض عليه وصادر أمواله ثم أمر بقتله فيما بعد، وقد علق أحد الباحثين على هذه الحادثة بقوله: ((وكان الأجدى بطغتكين أن يأخذ منه الأموال ويتركه يسير بدونها، كما فعل

[1]- الخزرجي : العسجد ، 159 ، الجند : السلوك ، 2/ 527.
[2]- عبد العال : الأيوبيون ، 121 نقلاً عن السمط لابن حاتم

أخوه صلاح الدين بمبارك بن منقذ، إلا أن طغتكين أصر على قتل حطان بسبب خروجه عن طاعة الأيوبيين، وليس بسبب أخذ الأموال)) [3]

أما ياقوت التعزي فقد جاء الى طغتكين في زبيد وسلمه مفاتيح حصن، فأعجب به طغتكين واكرمه وأعاد اليه ولايته وبعث معه حطان ليسجنه فيها، وهذا دليل على أن ياقوت التعزي لم يخرج عن طاعة الايوبيين، لذا أبقاه طغتكين على ولايته.[4]

ولما عرف عثمان الزنجيلي أمير ولاية عدن بما جرى لحطان بين منقذ في زبيد، فانه توجس وخاف على نفسه. فخرج من عدن هاربا من سيف الاسلام طغتكين وشحن جميع ما يملكه في سفن كبيرة متوجها نحو بلاد الشام عن طريق بحر القلزم (الاحمر) فلما علم طغتكين بهروب الزنجيلي مع أمواله أمر بنصب كمائن بحرية له عن طريق اعداد سفن تلقاه قبالة ساحل زبيد، وتمكنت هذه السفن المعترضة من القبض على بعض سفن الزنجيلي، فيما نجا الزنجيلي

[3]- السروري : الحياة السياسية ، 535.
[4]- ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، 78.

بنفسه وتمكن من الوصول الى مكة سالما في ذي الحجة 579 هـ ثم غادرها الى بلاد الشام حيث أقام بدمشق الى أن مات سنة 583 هـ [1].

طغتكين واستعادة النفوذ الايوبي في اليمن

بعد أن تمكن طغتكين من الاستلاء على المدن والحصون التي كانت تحت سيطرة نواب أخيه تورنشاه ، توجه سنة 580 هـ لاستكمال فتح بقية أنحاء بلاد اليمن فاستولى على حصن السوافي مخلاف المعافر بدون قتال، وواصل فتوحاته فتحرك نحو مخلاف جعفر، فاستولى سنة 580 هـ على حصن وصاب وأعمالها، كما استولى على حصون أولاد أبي النور بن أبي الفتح وهما حصنا بيت عز ونعم في الشعر دون حرب ، كما سيطر على حصن شواحط من أهله دون قتال لأن شيخهم بايع سيف الاسلام بمكة عند قدومه من مصر.[2]

وفي شوال سنة 581 هـ استولى طغتكين على حصن عنه في العدين وخدد ((جبل حبشي)) وريمة الحدبا، وحصون بحرانه وقزعه وعتمه.[3]

[1] - عبد العال : الايوبيون ، 123.
[2] - السروري : الحياة السياسية ، 137.
[3] - عبد العال : الايوبيون ، 124 ، السروري : الحياة السياسية 237.

وبعد أن انتهى طغتكين من أمر الحصون المطلة على سهل تهامة، توجه على رأس جيشه لفتح حصن حب وفيه السلطان زياد بن حاتم بن علي بن سبأ بن أبي السعود الزريعي فحاصره ولما طال الحصار واقترب موعد الحج، ترك طغتكين مولاه الهمام أبا ريا محاصرا للحصن ومعه شمس الخواص، وسار نحو مكة لاداء فريضة الحج، وأثناء الحصار حاول السلطان زياد بن حاتم الزريعي طلب النجدة من السلطان علي بن حاتم حاكم صنعاء، كما طلب النجدة من الشيخ عبد الله بن يحيى الجنبي والشيخ عمران بن زيد بن عمر الجنبي رئيسا قبيلتي جنب ومذحج، فاستجاب السلطان علي بن حاتم وارسل ولديه عمران الفضل وأخاه بشر بن حاتم على رأس قوة كبيرة من قبيلة همدان.[4]

ولما وصلت تلك الجموع الى مدينة ذمار التحق بهم السلطان أسعد بن علي بن عبد الله الصليحي – صاحب حصن قيضان – في بلدة الضمية في بلاد الحقل. وفي تلك الاثناء جرى اجتماع بين قادة هذا التجمع الكبير حول أفضل السبل لمحاربة الايوبيين فكان رأي بشر بن حاتم أن يسير الجيش كله وجهة واحدة نحو هدفه، بينما أشار أسعد بن علي أن ينقسم

[4] - الخزرجي : العسجد ، 160.

الجيش الى فرقتين: الفرقة الاولى تضم همدان بقيادة بشر بن حاتم تتجه نحو حصن نعم في الشعر وكان الايوبيون قد سيطروا عليه بينما تتجه الفرقة الاخرى وهم مذحج وجنب نحو السحول.[1]

وعندما وصلت قبيلة جنب الى مقربة من حصن السحول أحبط عزيمتها نحو التقدم للحصن الشيخ علي بن محمد بن ابراهيم فانسحبوا، وكان سبب هذا الانسحاب يعود الى الخلافات القبلية القديمة بين الشيخ عبد الله بن يحيى الجنبي والشيخ عمران بن زيد الجنبي.[2] ولما ترامت الانباء الى بشر بن حاتم بإنسحاب قبائل جنب أمر هو الاخر قبائل همدان بالانسحاب عن حصن نعم فارتحلوا عنه، وعندما وصلوا الى حق قتاب ((كتاب)) حاول الشيخ عمران أن يشرح لبشر دواعي انسحاب قبيلة جنب، وذلك بهدف اعادة التحالف بين همدان وجنب من جديد، الا أنهم لم يصلوا الى حل، فعادت قبائل همدان وجنب الى مواضع السابقة.[3] ويذكر أحد الباحثين بأن سبب عودة تلك القبائل ربما يعود الى أن طغتكين تمكن من تفريق تلك الجموع القبلية، بالتهديد والوعيد وانفاق

[1]- السروري : الحياة السياسية ، 238 نقلا عن أسمت لابن حاتم.
[2] - الخزرجي : العسجد ، 160.
[3] - المصدر نفسه. 160 – 161.

الاموال. ولكن ظهر أن الرواية الأولى أقرب الى الحقيقة بسبب أن طغتكين كان أثناء تحرك جموع همدان وجنب في مكة لاداء فريضة الحج. فضلا أن هذه القبائل لم تكن على وفاق سياسي ومذهبي.[4] لذا سرعان ما تلاشى هذا التجمع القبلي.

وعندما رجع طغتكين من الحج شدد الحصار على حصن حب وأنذر من به بتسليم الحصن , فلما راى مقاومتهم قرر إقتحام الحصن بالقوة فاستولى عليه قهراً بالسيف في جمادي الاخرة سنة 582هـ وأمر بقتل جميع من كان بالحصن ليصبحوا عبرة لكل من يحاول الوقوف بوجهه, فلم يفلت منهم إلا من إستطاع الهرب أوتزيا بزي الجنود أوطرح نفسه بين القتلى ((وتزلزلت لذلك اليوم جميع اليمن شمالاً ويميناً))2.

ويظهر ان السبب في عدم تسليم الحامية التي كانت بالحصن نفسها لطغتكين، انها كانت تأمل ان يعود التجمع القبلي الذي يضم همدان وجنب ومذحج لمعاونتهم وتقديم الدعم اليهم وهذا ما يجعل طغتكين لا يفكر بالهجوم عليهم 3.

[4] - السروري : الحياة السياسية ، 238 ، وقد علل الباحث سبب عدم مناصرة التجمع بعدم وجود وفاق ديني بينهم والصحيح مذهبي لان الجميع اليمنيين هم مسلمين ولكنهم يختلفون مذهبيا ما بين شافعي وزيدي.

طغتكين والسيطرة على ذمار وأعمالها

الملك طغتكين وتصفية بقايا الصليحيين

كان السلطان أسعد بن علي الصليحي صاحب حصن قيظان احد بقايا الصليحيين ومن الموالين لبني زريع قد [illegible] نة الأيوبيون، خاصة بعد اقتحامهم لحصن حب وقتل جميع من [illegible] ه لديه ومنصور إلى [illegible] يز طغتكين عارضاً عليه الخضوع والدخول في الطاعة، إلا ان هذه الطاعة لم تكن ثقة بسبب الخلاف المذهبي بين الأيوبيين والصليحيين الباطنيين من جانب، [illegible] الصليحي لاعلم اصطحاب [illegible] حصن حب من الجهة [illegible] الشمال من بلاد [illegible] السيطرة على حصن

قيظان. لذا وكلا أحد دوافع مجيء الأيوبيين إلى اليمن للقضاء على بقايا الصليحيين والزريعيين أتباع الدولة العبيدية ومن حملة الفكر الشيعي الباطني. أتجه طغتكين لماضي حصن قيظان، وظل الحصار مستمراً لمدة تسعة أشهر، فلما طال الحصار أمر طغتكين باستعمال المنجنيق لتدمير الحصن، فأضطر أصحاب الحصن من الصليحيين إلى تسليم الحصن مقابل إعطائهم الأمان واشتراط الخروج إلى السلطان علي بن حاتم في صنعاء، وكضمان لتنفيذ ذلك سلم الطرفان رهائن إلى بشر بن حاتم لحين وصولهم سالمين. وبعد خروجهم من الحصن ووصولهم صنعاء تسلم الملك العزيز طغتكين الحصن، وبذلك انتهت بقايا الصليحيين من حصن قيظان وأصبحت جميع مناطق اليمن الأسفل تحت سيطرة الأيوبيين عدا حصن الدملوه بالصلو حيث سبق تورانشاه أن حاصره سنة 570 هـ و لمناعته لم يستطيع الاستيلاء عليه[1].

وفي سنة 584هـ تحرك طغتكين نحو هذا الحصن وبه جوهر الموظحي مولى بني زريع الوصي على أولاد

[1] الخزرجي، العسجد، 162، عبد العال: الايوبيون، 131، السروري: الحياة، 341.

الداعي عمر ابسباً الزريعي، فحاصره حصارا
شديدا، وظل محاصراً أربعة أشهر، حتى ضاق جوهر
عظمي ذرعا ولم يعد في استطاعته الصمود، لذا أرسل
إلى طغتكين يعرض عليه تسليم الحصقابل عشرة آلاف
دينار، غير أنه خدع طغتكين وخرج من الحصن إلى الخا
وئبه اشترط على طغتكين تسليم
الحصن مقابل عشرة أخرى، وكما كان طغتكين
قد سبق ى هذا المبلغ لجوهر المعظمي فقد تردد في
تسليم هذا المبلغ مرة اخرى، خشية ان يؤ العمل و لا
عاد فوافق بشرط أن يتم تسليم
ا، حيث تم تسليم الحصن إليه بعد
حصار استمر أربعة عشر شهراً[1].

طغتكين وبنو حاتم

عن أن الصلح بين السلطان علي بن حاتم
وطغتكين يتجدد سنويا، إلا ان السلطان كان يتطلع
، عن النفوذ والهيمنة الأيوبية، ففي سنة
584هـ عمر الحصون التابعة له في نواحي صنعاء وهي:

[1] عبد العال: الأيوبيون، 131 – 134.

ذمرمر، وكوكبان، والظفر، والعروس، وبراشن وفده، والقص[2]، بجانب حصن أشيح في آنس. فلما شعر طغتكين بنزعة سلطان صنعاء إلى الاستقلال، إضافة إلى نقضهم الاتفاق المعقود بين الجانبين وعدم وفائهم بما تعهدوا به من أموال وخيل. زحف طغتكين نحو صنعاء، فلما وصل إلى ذمار وتعداها شمالا إلى جهران، أحس بنو حاتم بخطورة الموقف، فأسرع علي بن حاتم بإرسال ابن عمه حاتم بن أسعد بالتوقف عن مواصلة التقدم نحو صنعاء بشرط وفاء على بن حاتم بما تعهد به من تقديم ثلاثين ألف دينار وثلاثين حصاناً، وكضمان لذلك ترك حاتم بن أسعد رهائن عند طغتكين حتى يأتيه بالمبلغ وأشترط عليه أنه إذا عاد بغير ما تعهد به سوف يشنق الرهائن. فلما ابلغ علي بن حاتم بتفاصيل الاتفاق المبرم مع الملك العزيز طغتكين، رفض الالتزام بهن فأضطر القاضي حاتم بن أسعد إلى العودة إلى طغتكين خوفاً من إعدام الرهائن، ولكنه طيب خاطره وأبدى استعداه للإفراج عن الرهائن بعد ان أصبح القاضي حاتم بن اسعد من أتباعه وأنضم إليه وأقسم على

[2] الخزرجي: العسجد: 164ن الشيباني: قرة العيون 278.

الإخلاص له، وقام طخ عن رهائنه وأحسن إليهم[1].

، تعاون القاضي حاتم بن اسعد مع طغتكين وأشار إليه بان يتجه أولاً إلى فتح حصن أشيح وذلك يؤمن ظهره عند زحفه إلى صنعاء. وتنفيذاً لمشورته توجه طغتكين إلى ، حامية الحصن قاومت في اليوم الأول فلجا طغتكين إلى الاستيلاء على موضع بالقرب ـن الحصن يسمى ظفان وقتل صاحبه من بني الصليحي ويدعي يحيى بن سليمان بن المظفر وبعض انصاره، وهذا مأ دعا اهل حصن اشيح إلى تسليم حصنهم إلىموا من انتقامه إذا ما قاوموه[2].

فتح طغتكين صنعاء وأطرافها

بن من أمر حصن أشيح تابع فتوحاته فلى على بلاد آنس – جنوبي صنعاء – وقتل كثيراً ممن تصدوا له ثم استولى على جبل الشرق الواقع في شمال غرب ذمار، ثم عاد إلى ذمار[3].

[1] الخزرجي: العسجد: 164، الشيباني، قرة العيون 278.

[2] عبد العال: الأيوبيون، 138؛ السروري: الحياة السياسية، 345.

[3] الشيباني، قرة العيون 278.

لم يمكث طغتكين طويلا في جهران، حتى أسرع بالتقدم شمالاً صوب صنعاء بعد ان أمن ظهر جيشه بالاستيلاء على المناطق الواقعة جنوبها، وفي العشرين من شوال سنة 585هـ دخل صنعاء واستولى عليها[4] بدون قتال بعد ان هرب منها بني حاتم إلى الجبال للتحصن فيها, وما كانت تمضي فترة قصيرة على استيلاء الملك العزيز طغتكين على صنعاء، حتى شرع ببناء دار له سميت بالدار السلطانية[5] في المنطقة المشهورة الآن ببستان السلطان.

وبعد إقامة قصيرة في صنعاء قام طغتكين بزيارة استطلاعية للطواف حول حصون: ذمرمر وفدة والقص، ثم زحف إلى حصن عزان قرب ثلا واستولى عليه بالقوة وقتل نحو أربعين رجلاً ممن كانوا بالحصن، وأسر أصحابه وعلى رأسهم عامر وعبد الله ابن أبي مفرج الشهابي وعمهما حاتم بن سعيد الشهابي وأمر بقتل حاتم بن سعيد وأفرج عن الآخرين مقابل فدية قدرها ثلاثين ألف دينار[6].

ثم توجه طغتكين لمحاصرة حصن العروس قرب كوكبان وضيق الحصار عليه، ولكنه لم يلبث أن ترك حصاره عندما

[4] المصدر نفسه، 278.

[5] السروري: الحياة السياسية، 346.

[6] الخزرجي: المصدر السابق، 166.

جاءته إحدى سحمل وليدها متوسلة إليه بـــأن
يترك الحصن من أجل ولدها الذي اطلقت عليـــه سمه
فلها طغتكين إكراما لها[1]، ثم توجه نحو حـــصن
الظفر الذي كابن حاتم واستولى عليـــه
بالقوة[2]، ثم سار نحو حص كوكبان شبام وبـــه الـــسلطان
عمرو بن علي بن حاتم مع الف وخمسمائه رجـل مائـــة
فارس فحاصره حصارا شديدا ونصب عليه أربعة مجـــانيق
وظل يضربه ليلاً ونهاراً الى أن دك حصونه المبنيـــة مـــن
التراب وقتل من حرنجاوز الآلف رجل وهذا
حجر والسأم بين صفوف المـــدافعين
حصن، لذا طلب السلطان عمرو بن علي بن حاتم من
الملك العزيز طغتكين تسليم الحصن مقابل إبقاء حـــصن
العروس له، فوافق الملك على ذلك وحصن فـــي ذي
الحجة سنة 585هـــ[3] ثم تقدم طغتكين نحو حـــصن فـــده

[1] الخزرجي: العسجد: 165، الشيباني، قرة العيون 279.

[2] السروري: المرجع السابق، 346، في حين يذكر الشيباني بأن الملك طغتكين لم يـــستطع فتح ن وتابع عليه المؤرخ المصري عبد العال، أنظر (قرة العيون، 279)؛ (الأيوبيـــون، 140).

[3] الخزرجي: المصدر السابق، 166.

المشرف على وادي ظهر وحاصره ونصب عليه المنجنيق لم يستطيع اهل الحصن المقاومة لذلك سلموه الحصن[4].

وهكذا سقطت حصون بني حاتم الواحدة تلو الأخرى أمام ضربات الملك العزيز طغتكين ولم يبق إلا حصن ذمرمـــر وهو من أحسن معاقل اليمن وامنعها وكان به علي بن حاتم وأخوه بشر، قال إدريس عماد الدين: ((يزعم الذين يدورون في البلاد أنهم لم يروا في أقطـــار الأرض مثلـــه حـــصانة وامتناعاً)) [5].

لذا تفرغ طغتكين لحصار ذلك الحصن ووضع لحصاره قوة كبيرة تقدر بعشرة آلاف رجل وخمسمائة فارس بقيـــادة أبو ريا الذي جعله والياً على صنعاء، وتم توزيع هذه القوة الكبيرة على خمسة عشر محطة كالأتي:

محطة في الظلمة، ومحطة في الحصنين، ومحطـــة فـــي أكمة بن سنية، ومحطة في أكمة الهامة، ومحطة في أكمـــة ابن الداية، ومحطة في قهال، ومحطة في الحصن الأبيض، ومحطة في الحصن الأحمر في زجان، وثلاث محطات في قاع القاصي[6].

[4] الشيباني، قرة العيون 279.

[5] عبد العال: الأيوبيون، 143 نقلاً عن نزهة الإدريس عماد الدين.

[6] الخزرجي: المصدر السابق، 167.

ن هذا الحصار القوي فإن مناعة حصن
ذمرمر ووفرة المؤن فيه ساعدت الموجودين داخله عى
اله فلما أنهك الحصار الجانبين
وقلت المؤن في الحصن، وزادت التكاليف على طغتكين،
سعى الجانبين إلى الصلح، وتم التوصل إلى اتفاق يقضي
بالاطرة بني حاتم أية بلاد أو حصون[1]،
ابل أن يتكفل طغتكين لهم ((بخمسمائة دينار وخمسمائة
كليجة طعام)) [1-]، وهكذا زالت دولة بنحاتم وتمكن
الأيوبيم على معاقلها وحصونها الواحدة
تلو الأخرى.

العلاقات بين الملك العزيز طغتكين والزيدية

لقد عاصرت الة دخول الأيوبية إلى اليمن وما
قبلها بقليل لعدم وجود إمام الذي شاوفاة الإمام أحمد
بن سلمان سنة 566 هـ، فلما كانت سنة 583هـ أقامت
الزيدية عبد الله بن بأمر الاحتساب[3] وهو رتبة تلي
الإمام في النظام الزيدي في منطقتي صعدة والجوف، حيث

(1) الخزرجي: العسجد ، 167؛ الشيباني، قرة العيون 279.
(2) المصدران نفسيهما.
(3) يحيى بن الحسين: أبناء الزمن ده، زيارة: أئمة اليمن، 1/ 111.

يقدمن معاقل المذهب الزيدي فلما توجه الملك العزيز
طغتكين لفتح مدن وحصون بني حاتم سنة 585هـ أرسل
مجموعة من قواته إلى منطقتي متيك وبني ساور – شمال
(صنعاء) فاستولت على حصونها[4]، مما أدى إلى حدوث
اضطراب في صفوف الزيدية، وخاصة بعد أن أحاط جيش
أيوبي بلغ أربعة آلاف رجل بجموع قبيلة موالية للمحتسب
عبد الله بن حمزة وأنزل بها هزيمة كبيرة حيث كبدها
خسائر فادحة عند قرية شوحطين وقتل في تلك الموقعة
محمد بن حمزة، فيما فر أخوه المحتسب عبد الله بن حمزة
إلى بلاد الجوف[5].

أما طغتكين فقد توجه على رأس جيشه في ذي القعدة سنة
586هـ إلى شهارة حيث استولى على بلاد الأهنوم وبلاد
الشرق المعقلان التقليديان للزيدية، كما سار إلى شوابة في
البون ثم أتجه إلى الجوف، ثم سعدة فسيطر عليها[6]، وعاد
إلى صنعاء في محرم سنة 587هـ وهكذا تمكن طغتكين
من إخضاع جميع المناطق الزيدية، ولم يقف التوسع الأيوبي
عند هذا الحد، بل شمل مناطق أخرى فقد توجه سيف

(4) يحيى بن الحسين: أبناء الزمن، 56.زيارة: أئمة اليمن، 1/ 111.
(5) زيارة: أئمة اليمن، 1/ 111.
(6) المرجع نفسه، 1/ 111.

الإسلام إلى حضرموت فاستولى على شبام تريم[1]، ثم عاد
، في تعز بعد أن أصبح سيد البلاد بلا منازع.
وهكذا تمكن من توحيد جميع مناطق اليمن تحت
النفوذ الأيوبي حيث ساد الأمن والربوع البلاد
وظل الحال كما هو إلى أن بمدينة المنصورة
باليمن، السادس والعشرين من شوال سنة 593هـ بعد حكم
دام أربعة عشر عاماً وعشر يوماً، وقيل أنه مات
مسموما.

أعمال الملك العزيز طغتكين

رغم انشغال طغتكين بفتح المدن والحصون والقلاع
اليمنية ومحاولة القضاء على من صليحيين
وزريعيين و حاتميين والتصدي للفتن والاضطرات التي
تحدث في ربوعها بين الفينة والأخرى، إلا أنه مع ها لم
ينسى النواحي الإدارية والعمرانية، فقد عهد إلى ولاة من
قبله بحكم اليمن، فاستاب الهمام على صنعاء، كذلك عهد
إلى ولاة بحكم عنس ورداع وجهران وألهان وزودهم بالجند
والسلاح. كما وجه جهوده إلى تشييد مدينة تعز بعد أن

[1] السروري: الحياة السياسية، 348، نقلاً عن السمط لابن حاتم.

أعجبه هواؤها وموقعها وشيد فيها القصور والدور وأمر
بحفر الآبار ومد قنوات المياه، وشيد بها الحدائق الغناء
مزينة بأنواع الأشجار وجلب أشجاراً من مصر لغرسها في
تعز، كما اختط مدينة المنصورة الواقعة شمالي الجند وبنى
بها قصراً وحماماً، وأمر معظم جنوده بالإقامة فيها.

كما بني عدداً من الحصون منها: حصن تعز، وحصن
التعكر، وحصن حب، وحصن خدد، كما جدد أسوار زبيد
وصنعاء الذي هدمه على بن حاتم[2] وزاد فيه من الجانب
الغربي من مجرى السيل إلى باب السبحة، وشيد في صنعاء
بستان السلطان نسبه إليه، وبنى فيه الدور، وشيد قصر
السلطان وأنفق في بنائه أموالاً طائلة، وزخرف أبوابه
بالذهب وألوان الصناعات، ويسر وصول الماء إليه، وأقام
حول الحدائق الغناء والبساتين الفيحاء، التي اشتملت على
صنوف الأشجار وأنواع الأزهار والرياحين[3].

[2] عصام الفقي: اليمن في ظل الإسلام، 213 – 214، نقلاً عن اللطائف السنية للكبسي.
[3] زبارة، أئمة اليمن: 1/ 112.

الملك المعز إسماعيل بن طغتكين

تولى المعز إسماعيل الحكم في اليمن بعد وفاة والده طغتكين سنة 593هـ وقد سبق له وإن تولى حكم صنعاء، لاد الظاهر نيابة عن أبيه، وكان أهل هذه المنطقة بحكم انتمائهم الزيدي يوالون الإمام، ومعل ملة قاسية بموافقة المعز، لذا طلب أهل تلك المنطقة المساعدة من النل المجاورة للتبيين، وهذا ما حدث فعلا حيث تمكنوا حسب الروايات من قتل حوالي 700 رجل من الأيوبيين إضافة إلى نهب أموا وعقر خيولهم، فأثار ذلك غضب الملك العزيز طغتكين حيث ارسل لهم حملة عسكرية اثخنت فيهم وقتلت منهم نحو مائتي رجل[1].

ثم عزل طغتكين ابنه المعز عن الولاية، ورفض توليته مرة اخرى سلوكه السياسي، وهذا ومما أدى إلى دت إلى طرد طغتكين لأبنه من اليمن سنة 589هـ، فسار إلى الخلفية العباسي فأكرمه

[1] يحيى بن الحسين: غاية ألاماني، 1/ 238؛ عبد العال: الأيوبيون، 149.

وأعاده إلى اليمن ومعه رسالة منه إلى أبيه طغتكين يطلب العفو منه[2].

ورغم قبول طغتكين العفو عن أبنه إلا أن الخلاف بينهما سرعان ما ظهر إلى السطح مرة أخرى بسبب ما قل عن خروجه على المذهب السني، وهذا ما دعا إلى خروج المعز من اليمن مرة أخرى سنة 593هـ مغاضباً لأبيه في طريقه نحو الشام، غير أنه عندما وصل الحرض من المخلاف السليماني أرسل إليه كبار أعيان الدولة يعلمونه بوفاة أبيه ويطلبون رجوعه[3].

وعلى أية حال فلما علم بوفاة أبيه حزن ولبس السواد وجز شعره، ورجع إلى زبيد فدخلها في التاسع عشر من شهر ذي القعدة سنة 593 هـ بعد ان سيطر في طريقه على منطقة التهائم الواقعة بين حرض شمالا وزبيد جنوباً، ثم غادر زبيد في اليوم التالي متوجهاً إلى تعز حيث أعلنت القوة الأيوبية المتمركزة فيها إعلان الطاعة له. وبعد ان مكث شهراً لترتيب أمورها غادرها إلى ذي جبلة واستلم حصن التعكر، ثم غادرها إلى صنعاء فتسلمها من واليها في محرم سنة 594هـ، أما بخصوص عدن فقد أرسل إليها

[2] ابن واصل: مفرج الكروب، 2/ 338، الحداد: التاريخ العام للمين، 3/ 29.

[3] الخزرجي: العسجد، 171 – 172، يحيى بن الحسين: غاية ألاماني، 1/ 340 – 341.

.ه هو مهكار بن محمود، وهكذا خضعت جميع أقاليم اليمن لسلطته دون معارضة منّ احد[1].

سياسة المعز تجاه الأيوبيين

كان الما بالـــشجاعة، غيـــر ان أدائـــه
السياسي لم يكن للوب فقد كانت تنقصه الخبرة
في ناس، لذا كانت قراراته طائشة ولا تمـــت
للحكمة بصلة، حيث بدأ سلطته بقتل عامل أبيه على حرض
القاضي الأسعد واستصفى امواله واســتولى علــى خدمه
وجواريه دون نحجة تقصيره في القيـــام
بخدمته واستقباله عند وصوله إلى حرض في طريقه إلــى
الشام قبل أن يتولى السلطنة[2].

ومن جانب آخر فقد جاءه الهمام ابو ريا نائب أبيه علــى
صنعاء، غير أن المعز أضمر له الشر، فلما بلغ صنعاء قتله
في المحرم سنة 594هـــ. وجعل مكانه نائبــاً آخــر هــو

[1] عبد العال: الأيوبيون، 153، السروري: المرجع السابق، 35.

[2] الخزرجي: العسجد، 172، يحيى بن الحسين: غاية ألاماني، 1/ 341.

الشهاب الجزري، كما انه قتل عددا كبيرا من غلمان أبيه[3]، وأخاف جمعاً آخر فهربوا منه[4].

المعز وعلاقته مع أئمة الزيدية

لقد سبق لعبد الله بن حمزة أن دعا لنفسه بالاحتساب سنة 583هـــ، ولكن طغتكين استطاع هزيمته وتشتيت شمله، لذا ظل ساكناً طوال الفترة الباقية في حكم طغتكين، فلما تــولى المعز السلطنة، استغل عبد الله بن حمــزة عــدم المقـدرة السياسية للمعز في حكم اليمن إضافة إلى الانقــسام الــذي حصل في صفوف مقدمي الأيوبية الناتجة عــن اضــطهاد المعز فبادر في ذي القعدة سنة 593هـــ بإعلام الدعوة لنفسه بالإمامة الزيدية بادئاً بذلك من منطقة الجوف، ثم تقدم منها إلى هجرة معين بصعدة داعياً إلى بيعته.

ثم انتقل إلى صعدة حيث بايعه الناس وعلماء الهادوية في مسجدها الجامع يوم الجمعة الثالث عشر مــن ربيــع الأول سنة 594هـ[5].

[3] ابن عبد المجيد: بهجة الزمن، 79.

[4] المصدر نفسه، 80.

[5] يحيى بن الحسين: غاية الأماني، 341؛ زبارة: أئمة اليمن 1/ 113.

ومما تجدر الإ للأيوبيين عداوات كثيرة
من قوى قبلية تقليدية وقوى مذهبية من
امركزين في شمال صنعاء، ومن بقايا الدويلات
الباطنية امثال بنو حاتم، ا استغلوا دعوة
الإمامة الزيدية وتكتلوا وراء الإمام عبد الله بن حمزة عسى
ماء على الوجود الأيوبي في اليمن
ليستعيدوا فيها سلطانهم، وكانت اكثر القوى المضادة حركة
بنو حاتم الذين كان يحكمون ومن أكثر الناس دفعا لعبد الله
بن حمزخاصة مع قطع المعز للجامكية
الشهرية (الراتب الشهري) الذي كان يدفعه لهم طغتكين،
وقد بلغ بهم الأمر إلى حد السماح للإمام عبد الله بن حمزة
باستخدام حصونهوكبان وبكر وظفر الواقعة في مغارب
صنعاء وقد سبق لعلي بن حاتم أن اشترى هذه الحصون من
نواب على ما يظهر فإن موافقة بنو حاتم للإمام
باستخدام حصونهم وإرسال ممثلهم بشر بن حاتم إلى الإمام
في صعدة[1] لمبايعته، بمثابة إعلان الحرب على الأيوبيين.

الإمام على التحرك مسرعاً نحو مغراب
صنعاء، فسار حتى وصل إلى ثلا غرب كوكبان، فلما

[1] المصدران نفسيهما.

وصلها توافده إليه الكثير من أهل تلك المنطقة مبايعة وباذلة الطاعة له، وهذا ما شكل خطورة على القوى الأيوبية المتواجدة في صنعاء، لذا سرعان ما لمت هذه القوى شملها وتحركت نحو ثلا على عجل للتصدي للإمام قبل أن يستفحل خطره، وتم محاصرة القوة الإمامية ودار قتال شديد بين الجانبين أسفر عن مقتل أحد أنصار الإمام وهو الأمير محمد بن علي[2]، ورجع الأيوبيين إلى قواعدهم في صنعاء دون تحقيق نتيجة تذكر، فيما ظل الإمام مرابطاً في ثلا.

وقد أدرك المعز مدى خطورة الإمام لاسيما تواجده في مغارب صنعاء، لذا فبمجرد عودته إلى صنعاء قادماً من تعز بداية سنة 594ه، حاول استمالة علي بن حاتم إلى جانبه وقطع علاقته مع الإمام عن طريق استعمال أساليب الترغيب مثل مراسلته وهو في معقله في حصن ذمرمر بأنه سيعطيه صنعاء وهذا ما دعا على بن حاتم إلى إرسال أخيه بشر وولده عمر بن علي إلى صنعاء للقاء المعز، فلما وصلا إلى صنعاء أخذهما منها إلى حقل كتاب[3] ويظهر أن المعز باتخاذه بشر وعمر رهينتين عنده كان بمثابة ورقة ضغط على علي بن حاتم لكي يجبره على الخروج عن

[2] يحيى بن الحسين: غاية الأماني، 341؛ زبارة: أئمة اليمن 1/ 113.

[3] المصدران نفسيهما.

يما وأن علي بن حاتم أصبح وصوليا (انتهازيا) في علاقاته سواء بالأيوبيين أو الأئمة الزيدية.

وفي سنة 594هـ وأثناء تواجد المعز في نعاء خرج على رأس جيشه وبرفقته الأمير سيف الدين حكو محمد الكردي لمنطقة غرب صنعاء وانتصرا عليه وشتتا شمله، ثم رجعا إلى صنعاء، ومنها سار المعز إلى ذي جبلة وعمل على تهديم دار العز الذي بناه المكرم الصليحي[1]، ويظهر ان هذا الإجر، لأسباب مذهبية لأن الزيديين والإسماعيليين يجمعهم إلى حا رابطة غم الخلافات العقائدية الكثيرة بينهما.

ا يكن من أمر فإن الضغط الأيوبي المستمر على إلى اتخاذ وسائل أخرى للخروج من هذا المأزق. فهو كان على دراية بما يعانيه قادة مقدمي الأيوبيين من خوف وبطش على يد المعز، لذا أخذ يعمل على استمالة م ويمنح الأمان للفارين منهم لكي يستعين بهم لضربّ القوى الايوبية، وفت الفرصة للإمام حينما علم بوجود حالة عدم ثقة بين الأمير حكو الكردي والشهاب بر صنعاء، مما أدى إلى استفحال الخلاف

[1] يحيى بن الحسين: غاية الأماني، 1/ 342؛ زبارة: أئمة اليمن 1/ 114.

بينهما، فخشى حكو أن يكيد له الشهاب الجزري عند المعز فيكون مصيره القتل، لذا عمل على مراسلة الإمام عبد الله بن حمزة سراً على أمل الانضمام إليه[2]، انتهت إلى مبايعة الأمير حكو الكردي للإمام سراً في 6 رمضان سنة 594هـ، وبذلك يعد الأمير حكو أول أيوبي ينضم إلى الإمام الزيدي عبد الله حمزة رغم الاختلاف المذهبي والعنصري للأثنين، وهو بعمله هذا فتح الباب واسعاً أمام بقية القادة الأيوبيين لكي يحذوا حذوه فيما بعد.

فلما علم المعز باتفاق حكو مع الإمام، حتى أرسل له قوة عسكرية لكي تلقي القبض عليه، فلما التقوا به في ذمار، تظاهر لهم الأمير حكو وأحسن استقبالهم وأظهر لهم أنه لم ينتمي إلى الإمام وأنه في طريقه إلى المعز، فصدقوه، ورافقوه في رحلته وأوهموه بأنهم جاءوا لنصرته، وعند وصولهم إلى حقل كتاب وأثناء مبيتهم أنسل الأمير حكو مع بعض أنصاره في الليل من بينهم خفيه، وساروا مسرعين حتى بلغوا جبل كنن في منطقة سنحان في 17 رمضان سنة 594 هـ[3]، فلما لحق به أتباعه الآخرين هاجم حصن لاحج وبه حامية أيوبية، فقاتلهم وانتصر عليهم وقتل منهم

[2] يحيى بن الحسين: غاية الأماني، 1/ 342؛ زبارة: أئمة اليمن 1/ 114.

[3] يحيى بن الحسين: غاية الأماني، 1/ 344؛ عبد العال: المرجع نفسه، 161.

جماعة وخرسن ثم تحرك إلى معقل آخر تابع للمعز
ويسمى تربان فيقتل عدد ممن كانوا بـــه
من الأيوبيين، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل توجه إلـى
اعتراض الخزانة التي قد بعثها المعز إلى الشهاب الجزري
والي صنعاء، فمكلفين بحمايتهـــا وهـــزمهم
وأسر آخرين واستولى عليها منهم[1]، ويبدو ان حكو بحكم
قربه من المعز كان يعلم بموعد وصوله الخزانـــة وعـــدد
الحراس المكلفين بحمايتها. لذلك هاجمها بقوة أكبـــر منهـــا
واستولى عليها[2].

حكو الكردي بهذا الإجـــراءات التـــي
اتخذها ضد الحاميات الايوبية خروجه وقطع علاقتـــه مـــع
الأيوبيين، وأصبح الإمام على يقين حـــازم بموالاتـــه لـــه،
فأرسل في طلبه، فلما جاء إلى شام في ذي العقدة سنة 594
هـ استقبال وأكرمه وجـــدد الأميـــر حكـــو
مبايعته سرية، وهذا ما دعا الإمام إلـــى
تقريبه ورفع منزلته واكرم جنطاعته ولقبه بالسلطان[3].

[1] يحيى بن الحسين: غاية الأماني، 1/ 345؛ عبد العال: المرجع نفسه، 161.
[2] السروري: المرجع السابق، 358.
[3] عبد العال: المرجع السابق، 162، نقلاً عن اللطائف السنية للكبسي.

وكان الإمام باتخاذه هذه المراسيم قد قطع الطريق علـــى
الأمير حكو للعودة إلى المعز إذا ما فكر ذلك مستقبلاً.

وكان لانضمام الأمير حكو إلى الإمام رد فعل سيء عند
المعز، لذا لم يجد مفراً من محاربة الإمام، فخرج على رأس
جيش كبير قاصداً شبام، ولما وصل صنعاء، خـــاف مـــن
بطش أحد المقدمين وهو هشام الكردي فخرج عليه وأتجـــه
صوب الإمام حيث استقبله وضمه إلـــى أنـــصاره، إلا أن
هشاماً لم يحارب الأيوبيين عندما ما كان في صفوف الإمام،
فقد عاد إلى صفوف الأيوبيين في عهد الاتابك سقر[4].

وأثناء خروج المعز من صنعاء لمقاتلة الإمام في شـــبام
حدث انشقاق آخر في صفوف الأيوبيين أسفر عن خـــروج
مقدم آخر يدعى شمس الخواص عن طاعة المعز، وكان هذا
الرجل قد علم بأن المعز يريد التخلص منه بسمه، فلما تأكد
له صدق هذا الخبر، خرج منشقاً بمن كان معه من الجنـــود
وكانوا ستمائة فارس وراجل وهم غالبية القوة التي كانت في
طريقها إلى شبام لمحاربة الإمام، وأرسل شمس الخـــواص
إلى الإمام يطلب الانضمام إليه، وهذا ما آثار بهجة الإمام
حيث تم اللقاء بينهما في منطقـــة نقيـــل عـــصر – غـــرب

[4] السروري: المرجع السابق، 363، نقلاً عن السمط لأبن حاتم.

صنعاء – واتفقا على التوجه إلى صنعاء للسيطرة علي فلما
ن المعز بذلك وأن جيشه قد تفرق ترك صنعاء عائـــداً
إلى تعز بعد أن ترك بها حامية.

وبانضمام ش وهشام الكردي إلى صـــفوف
الصالح الأخير، لذا دخـــل الإمـــام
صنعاء وتسلمها من شمس الخواص بعد انـسحاب المعـز
والشهاب الجزري منها عائدين إلى اليمن الأسفل، حيث بلغ
أهل صنعاءام ومنحوه ولاءهم[1].

أما الا الكردي حكو بني محمد الكردي فقد راودتـــه
اليمن الأسفل وانتزاعها من يد المعـــز،
خرج من صنعاء في 12 ربيع الأول ســـنة 595 هـــــ
وبرفقته مائة وعشرين فارسا لمقاتلي تلك الأثناء
ر قد أعد جيشا لاستعادة صنعاء مكونـــاً
من 600 قيادة الشهاب الجزري، وبرفقتـــه بعـــض
المقدمين مثل محمد بن المعلم وجمال الدين البقش ويـــاقوت
البنا الجيش حتى وصل ذمار فعسكر فيها[2].

ولما علم الامير حثن المعز على ذمار قدم
على خروجه من صنعاء، وادرك انه غيـــر قـــادر علـــى

[1] السروري: المرجع السابق، 359، نقلاً عن السمط لأبن حاتم.

[2] عبد العال: المرجع السابق، 167.

مقاومتهم، لذا آثر الانتظار حتى تصله الإمـــدادات بقيـــادة الإمام ثم لم يلبث أن لحق به الإمام، وأنضم إليه الكثير من قبائل مذحج وعنس وزبيد, ولما علم الأيوبيين بخروج الإمام من صنعاء، أسرع الشهاب الجزري، في التحرك على رأس مائتين فارس نحو صنعاء، فلمـــا وصـــلها فـــرض عليهـــا الحصار[3].

ورغم خوف الإمام من احتمال سقوط صنعاء بيد شهاب الجزري، إلا أنه فضل أن يقاتل الجيش الأيوبي المتبقي في ذمار فإذا ما تم القضاء عليه، تحول إلى شهاب الجزري في صنعاء للقضاء عليه هو الآخر، وهكذا شن جـــيش الإمـــام بالتعاون مع أنصار الأمير الكردي حكو هجوماً على الجيش الأيوبي في ذمار، ورغم المقاومة العنيفة التي أبداها الجيش الأيوبي إلا أنه أرغم على الانسحاب نحـــو مدينـــة ذمـــار للاحتماء بداخلها، ولكن جيش الإمام وحكو لم يتركوا لهـــم فرصة للإحتماء والمقاومة، فحدثت معركة عنيفـــة داخـــل الياقوت كانت نتيجتها هزيمة الأيوبيين وأسر بعض مقدميهم وعلى رأسهم أبن المعلم، فيما هرب الياقوت باتجاه الـــيمن

[3] السروري: المرجع السابق، 359، نقلاً عن السمط لأبن حاتم.

الأسفل، واستولى الإمام ومعه الأمير حكو على ذمار[1].

وقدر عدد القتلى من الطرفين بنحو سبعين رجلا[2].

وفي العشرين من ربيع الأول سنة 595هـ تحرك الإمام من ذمار قاصدا صنعاء وكان القائد الأيبي شهاب الجزري لازال محاصرا لها، فتمكن من الاستيلاء عليها عن طريق دخوله أحد الأبواب التي يتواجد بها أنصاره، وبذلك فوت الفرصة على الدخولها واضطره للذهاب حصن برأس القريب والتحصن فيه، ثم لم يلبث أن أنضم الأميدين حكو إلى الإمام وتوجها معاً إلى حصن براس، وفرضا الحصار عليه من جميع الجهات فاشتد الأمر على الشهاب وأتباعه، فطلب من الإمام الأمان، فوافق الإمام بشرط أن يتوجه رأسا إلى تعز، اخرج من الحصن مام مكيدة بأن أرسل إليه من يلقي القبض إلى تعز، ولا صحة لما قيل بأنه إتفق مع أهل سنحان على مساعدة المعز عند قدومه من تعز لمقاتلة الإمام[3].

[1] المرجع نفسه، 360.

[2] يحيى بن الحسين: غلاية الأماني، 1/ 347.

[3] عبد العال: المرجع السابق، 169؛ السروري: المرجع السابق، 361.

مقتل الأمير سيف الدين حكو

عندما وصلت الأخبار إلى المعز بهزيمة جيشه في ذمار وإلقاء القبض على قائدهم الشهاب الجزري حتى جهز جيشاً جراراً جمعه من كل مناطق اليمن الأسفل وسار على رأسه حتى بلغ عقيل صدر (سارة) فعسكر به في دار السلطان في الوقت الذي لم يدور بخلد الإمام وحكو بان المعز قادر على تجهيز مثل هذا الجيش الكبير وبهذه السرعة. ولما كانت فكرة السيطرة على اليمن الأسفل تراود فكر الأمير حكو، لذلك صمم حكو على النزول إلى اليمن الأسفل لاسيما وأن أبن المعلم أحد مقدمي المعز والذي كان قد اسر في معركة ذمار قد شجعه وزين له الأمر حتى يجعله فريسة سهلة أمام سيده المعز لم يقتنصه ويتخلص منه جزاء لخيانته وانضمامه إلى الإمام وكان أبن المعلم على اتصال سري مستمر مع سيده المعز[4].

وعلى أية حال فقد تحرك حكو على رأس جيشه صوب تعز، فسار حتى بلغ حقل كتاب فعسكر فيه، ولما علم بوصول المعز إلى نقيل صيد، حاول أن يسبقه للسيطرة

[4] عبد العال: المرجع السابق، 169 - 170.

على رأس النقيل للتحصن فيه، ولكن أنصحه بعدم
ترك المكان فسمع كلامه، وذلك من أجل انتظار وصول
المدد من الإمام عادة الإمام متى خرج
مدداً للأمير حكو إلى مكان ((وقف بعد يومين أو ثلاثة وما
فوق ذلك يسير)) [1] و الإمام باتخاذه مثل هذه العادة
هو أن ينتظر سيخوضها الأمير حكو
ضد المعز، فإذا ما حالفه النجاح فإم الإمام إليه
وسيكون شرأكبر في النصر، أما إذا كان العكس فأنه
سينسحب ويترك حكو لمصيره – وهذا ما حدث فعلاً.

أالمعز فإنه أسرع بالتحرك حول نقيل صيد حالماً
قدمة الأسير ابن المعلم، وعندما سيطر
المعز على رأس نقيل صيد نظم قواته واسرع في شن
هعلى قوات حكو في 16 ربيع الأول سنة 595 هـ،
حين التحم الجيشان في معركة مريرة، أسفرت عن انتصار
سيف الدين حكو ومقتل عدد كبير من
ابوغنم المعز كل ما كان في
معسكرهم من الأموال والمؤن، وبعدها تحرك المعز مسرعاً
غازين من جيش حكو الذين احتموا بها،

[1] المرجع نفسه، 160، السروري: المرجع السابق، 362.

فلم يترك لهم فرصة لتنظيم صفوفهم واستولى على المدينة بالقوة[2].

أما بخصوص الإمام فأنه تحرك لنجدة الأمير حكو في 17 ربيع الأول أي بعد يوم من مقتله وهرب جنده، ولما وصل قاع جهران وصلته أخبار قتل حكو وتتابع عليه المهزومون من جيش حكو لا يلوون على شيء ما أدى إلى حدوث اضطراب في صفوف جنده الذي ساروا على وجه لا يلوي أحد منهم على أحد ولم يبق إلا الإمام وجماعة يسيرة ثبتوا معه تعصباً وتحبباً وأنفة عليه من الانفراد[3] فأضطر الإمام إلى الانسحاب والتوجه نحو شبام، ولم يلبث أن تركه خوفاً وانتقل إلى حصن ثلا الأكثر متانة فوصل في الحادي والعشرين من جمادي الأولى سنة 595 هـ ـ للاحتماء به في الوقت الذي طلب من واليه على صنعاء صفي الدين محمد بن إبراهيم بتسليم حصن فدة إلى بني حاتم والتفرغ للمحافظة على صنعاء خوفاً من استيلاء المعز عليها، وهذا ما حدث فعلاً، حيث تابع المعز سيره إليها ودخلها دون مقاومة ولحق به الشهاب الجزري بعد أن تمكن من تخليص نفسه من الأسر، وبعد أن مكث المعز عدة أيام

[2] لسروري: المرجع السابق، 359 نقلاً عن السمط لابن حاتم.

[3] المرجع نفسه، 171 نقلاً عن السمط لابن حاتم.

جها إلى منطقة شواية لمتابعة أنصار
الإمام والقضاء عليهم، فلم وصل إلى ريدة استقبله علي بن
ذنحا له الـولاء والطاعـة وطالبـا
مص فصالحه وعاد المعز إلى صـنعاء، ثـم تـرك
الشهاب الجزري نائبا عنه في صنعاء وعاد إلى تعز[1].

مقتل المعز

كان من نتائج سياسة المعز السيئة، وبطشه بأتباعـه أن
أنشق عليه الكثيرون من كبار قادته، بمن كان تحت أمرتهم
ند، وشكلوا جبهة معادية لها خطرها. وتمكن الإمـام
من استمالتهم إليه ممّا ادى إلى تقويـ مركـزه وتدعيمـه
واستطاع أن يحرز بواسطتهم انتـصارات متكـررة علـى
المعز. ولقد اتخذ تمرد كبار رجال الأجناد شكل
الموجات، ومن اليسير ان نتعرف على موجتين خطيـرتين
منهما، تتمثل أولاهما في خروج كل من دين حكـو
أبن محمد وشهامي وشمس الخواص، ولقـد تمكـن
ص من هذه الموجة التي انتهت بموقعة نقيل

[1] المرجع نفسه، 172 نقلاً عن السمط لابن حاتم.

صيد واستعادة ذمار وصنعاء وغيرها، وما تبع ذلـك مـن
ضعف موقف الإمام. أما الموجة الثانية، فتتمثل في خروج
كل من هلدري وورد وسنقر على طاعة المعـز، والتجـاء
هلدري وورد سار إلى الإمام، وما كان من الحـرب التـي
دارت رحاها بين المعز وسنقر. كما كان لعدم احترام المعز
لعهوده مع بني حاتم، أن تألبوا ضده وانضموا إلى الإمـام
وساندوه وحاربوا معه ضد الأيوبيين.

ومهما يكن من شيء، فقد تفـاقم أمـر المعـز بـدعواه
الخلافة، والانتساب إلى بني أمية، وتدهورت الأمـور فـي
اليمن حتى ((لم يكن بين عسكر المعز إلا من هو مـريض
القلب عليه لسوء سيرته فيهم، وتضييقه عليهم، وعدم النظر
في أحوالهم وركونه إلى من لا نفع فيه ولا صلاح. وجعـل
أكثر بطانته وأصحاب مشورته الخدام والحريم)) فأتفق جنده
على التخلص منه، وتربصوا به، فواتتهم الفرصة بخروجه
من زبيد دون حراسة إلا من مملوك له، وكان ((راكباً على
بغله، وعليه حلة طويلة الأكمام، فوثب عليه الأكـراد عنـد
مسجد شاشة.. فقاتلهم بالمقرعة، ودعـا بحـصانه، فحـال
الأكراد بينه وبين جواده واستل سيف فحالت أكمامه الطويلة
بينه وبين الضرب بالسيف، فقتل وقتل معه مملوكه، ومثلوا

به))، وكان مقتله في الثامن عشر من رجب سنة 598هـ - أبريل 1292م[1].

قتوه أيوب بن طغتكين دون البلوغ، وكان مربيه سيف الدين سنقر هارباً منذ خروجه على المعز، ولما علم بمقتل المعز بادر إلى حصن ذحيث يقيم الأمير أيوب وأخذ البيعة له من كبار رجال الجيش واعيان الدولة، ب بالناصر، وقام سيف الدين بإدارة شؤون الدولة فعله مصالحة الأكراد الذين قتلوا المعز في زبيد وأخذ منهم البيعة لأيوب.

وردسان صنعاء وملحقاتها، وكان نائب صنعاء في عهد المعز الشهاب الجزري قد والى الإمامعبد الله بن حمزة بعد مقتل المعز. كما والاه كثير من رجال الدولة الأيوبية بعد مقتل المعز وقبله.

ولما ولى وردسان صنعاء رجع إلى حظيرة الدولة الأيوبية في اليمن كثير ممن كان قد خرج عنها، وكان السلطان علي بن حاتم قد توفي في عام 597 هـ فـصالح الأمير وردسان أخوته وأولاده من آل حاتم.

[1] ابن الديبع: بغية المستفيد ص 10.

الدولة الأيوبية وأكراد زبيد

ولما أعلن أكراد زبيد نقضهم للصلح الذي عقده معهم الأمير سيف الدين سنقر في عام 599هـ، قام الأمير سيف الدين بمصالحة الإمام عبد الله بن حمزة وأمر نائب صنعاء وردسان بالتقدم على رأس قواته إلى زبيد وتقدم هو إلى سيف الدين بقواته من تعز إلى زبيد أيضاً، وأوقع بأكراد زبيد وقعة منكرة، ثم عاد وردسان إلى صنعاء في حين أقام سيف الدين في زبيد أياماً قضى فيها على كل اثر فيها للأكراد، ثم تجول في تهامة وشتت بقايا الأكراد فيها وقضى على كل وجود فعال لهم في تهامة كلها[2].

[2] الحداد، تاريخ اليمن، 101.

الدولة الأيوبية والإمام عبد الله بن حمزة

كما قامالأمير سيف الدين سنقر القائم في شـــؤون الدولة الأيوبية في اليمن وبين الإمام عبد الله بن حمزة عدة وقعة نصف بين بلاد نهم وبلاد سفيان ووقعة عفان بالاد حاشد ووقعة ردمان في بـــلاد أرحب وغيرها ومازالت الحرب بين الفريقين مستحتى عقد صلح آخروذلك في عام 601 هـــ ويقضي بقيام هدنة مدتها عامان وبان يسلم الإمام للدولة الأيوبية حـــصن كوكبان، وقد وضع الصلح المذكورب فترة مـــن الزمن إلا أن ثمنه كان مدفوعاً من جانب واحد وهو جانب الإمام وذلك الأيوبيين كان أقوى، وذلك هونظرا لاتساع الرقعة التي يمتد فيها نفوذ الدولـــة الأيوبيا يساندها من قوة خارجية مـــصدرها الدولة الأيوبية فصر والتي مازالت تمد الأيوبيين فـــي اليمن بالمال والرجال إلى جانب مـــساندة اليمنيـــين الذين يحاربون معهم وبين صفوف قواتهم.

ولما انقضت مدة الصلح استأنف الأميـــر ســـيف الـــدين الحرب مع الإمام عبد الله بن حمزة وقامت معارك عديـــدة في بني دماج من بلاد الظاهر في بلاد حاشد وغيرها وكان

على رأس جيش الإمام أخوه الحسن بن حمزة وعلـــى رأس جيش الأيوبيين أمير صنعاء وردسان ووصل هذا إلى حوث وهدم دار الإمام فيها، واستمرت الحرب بينهما حتى انعقـــد صلح آخر بينهما عام 605هـــ ويقضي الصلح بأن يكـــون للدولة الأيوبية مما كان تحت نفوذ الإمام البونـــان الأعلـــى والأسفل في بلاد حاشـــد وأن يكـــون للإمـــام الظـــاهران والجوفان وصعدة مقابل حملة للدولة الأيوبية مائـــة جمـــل موقرة بالحديد من سعدة إلى صنعاء وعشرة أفراس في كل عام.

هذا، وقد غزا الملك الناصر الايوبي بنفسه بـــلاد حجـــة يرافقه الأمير وردستان الذي كان الناصر قد أسند الـــوزارة إليه عقب وفاة سيف الدين سينقر الاتابك في عام 608 هـ وكان عزو الناصر لحجة في عام 609 هـــ ثم عاد إلى زبيد بينما عاد وزيره وردسان إلى مقره حسن السمدان في بلاد الحجرية وفيه وافاه اجله في عام 610هـــ وأسند الناصـــر الوزارة إلى الأمير بدر الدين غازي بن جبري الذي كـــان يشغل ولاية الحج منذ بداية عهد الملك الناصر[1].

---

[1] الحداد، تاريخ اليمن، 102.

وفاة الملك الناصر أيوب بن طغتكين

ذكر المؤرخون أن الملك الناصر ايوب طغتكين بن أيوب توفي في صنعاء مسموما من قبل وزيره غازي بن جبريل المذكور وذلك في عام 611هـ وأنه استأثر بالملك به بالظاهر وحلف له الجند بالولاء وضرب له صنعاء، ولكنه لم يلبث أن غادر قاصدا تعز للإقامة فيها، ولما كان في السحول من بلاد احاطَ به اليمنيون وانهبوا احماله وتفرق عنه عاكره تطاع أن ينجو بنفسه مع عدد قليل من الجنود.

ولما صار في مدينة اب بعث والدة الناصر مماليكها الذين كانوا في حصن حب عليه احتزوا رأسه وأوصلوه إليها وكان ذلك بعد فترة من مقتل ولدها.

ثم اتفق كبار رجال الدولة ورؤساء الجيش على إسناد المملك الناصر ونصبوا عنهم رجلاً منهم يعرف بالمجاهد، فقام بإدارة شؤون الدولة حتى قدم إلى اليمن الاقي الدين الأيوبي في نفس العام[1].

[1] الحداد، تاريخ اليمن، 103.

السلطان سليمان بن تقي الدين الأيوبي

لما وصل سليمان بن تقي الدين الأيوبي إلى مكة لأداء نسك الحج في نفس عام وفاة السلطان الناصر بعد مقتل الوزير غازي بن جبريل وتنصيب الأمير المجاهد استدعته والدة الناصر ووصل إليها في شهر ربيع الأول من العام المذكور، وطلبت منه أن يقوم بالأمر وقالت له ((أنا نخشى العرب أن تطمع فينا ونحن نساء لا حيلة لنا وقد ساقك الله إلينا)) قبل طلبها وحلف رؤساء الجند ورجال الدولة على الولاء له في الشهر المذكور في حين ابتعد المجاهد عنه إلى حصن السلطان (أحد الحصون المنيعة في بلاد الحجرية) ولكن السلطان سليمان تمكن من القبض عليه واعتقاله.

وقد اسند السلطان سليمان ولاية صنعاء إلى الأمير بدر الدين حسن بن علي رسول وكان الإمام عبدالله بن حمزة قد استولى عليها فاستعادها الأمير بدر الدين، ولكنه سرعان ما فسد الحال بين السلطان سليمان والأمير بدر الدين فأعلن هذا خروجه على السلطان وغادر صنعاء إلى تهامة وعاد الإمام إلى صنعاء[2].

[2] الحداد، تاريخ اليمن، 103.

أما السلطان سليمان فإنه إلى تهامة لإخضاع الأمير
بدر الدين حسن بن علي ورسول ثم آل الامر إلى لمالح

بينهما.

السلطان المسعود بن الكامل الأيوبي

ولكنه لم يطل عهد السلطان سليمان بن تقي الدين حيث
أوفد سلطان مصر العادل أبو بكر بن أيوب إلى اليمن ابن
أبنه المسعود يوسف بن الكامل محمد نادل أبو بكر بن
أيوب في جموع كثيرة وتلقب بالمسعود، وكان دون البلوغ
ونائبه وقد أسند السلطان العادل أمر النيابة عنه إلى مربيه

يت ووصل المسعود ونائبه إلى زبيد في عام
612هـ ومنها راسل السلطان سليمان عل يدعوه إلى

، لأمر السلطان العادل ويعرض عليه قسمة البلاد
نصفين بينهما حقنا للدماء فتكون جبال السليمانية وتهامة
لمسعود، وقبل أن يتوصل الجانبيان إلى اتفاق في ذلك قدم

ن المسعود الأمير بدر الدين حسن بن علي
رسول وحثه على المبادرة إلى تعز والقبض على سليمان بن
الدين وما قاله له (أنهض إلى الجبال فما تجد بها من
) فنهض المسعود نحو تعز، ولما صار قريباً منها قال
الامين للسلطان المسعود (اكتب لخدم حصن تعز

وللرتبة بأن يقبضوا على سليمان وأقسم لهم أنهم أن لم يفعلوا ذلك حل بهم النكال) ففعل المسعود ذلك، وقبض من في الحصن على سليمان وحفظوه حتى جاء المسعود إلى تعز، ومنها أرسله المسعود إلى مصر محفوظاً وتسلم المسعود حصن تعز وأقام فيها أياماً ثم نزل منه إلى مدينة تعز واستقر فيها.

السلطان المسعود الأيوبي والإمام عبد الله بن حمزة

جهز السلطان المسعود من تعز انابكه (مربية) قليت إلى صنعاء على رأس جيش كبير لخوض حرب مع الإمام عبد الله بن حمزة الذي كان قد استولى على صنعاء وتمكن قليت من استعادتها بعد ان غادرها الإمام إلى كوكبان كما استعاد قليت كثيراً من الحصون وأخضع كثيراً من القبائل التي كانت قد خرجت على الدولة الأيوبية كما حارب الإمام في كوكبان، وقد انتهت الحرب بانعقاد صلح بينهما كان الوسيط فيه بين الجانبين السلطان عز الدين بن حاتم، ومن بنود الصلح قيام هدنة مدتها ستة أشهر، وأن يطلق الأمير قليت الرهائن التي كان قد قبضها من حامية حصن بيت نعم عند استيلائه عليه، وإن يكون للدولة الأيوبية ما قد استولت عليه

مما كان خاضعا للإمام، وأن يحمل الإمام للدولة الأيوبيـــة
عشرين فرساً وعشرين رجلاً.

ولما توفي الأمير قليت وانتهت مدة الصلح المنعقـــد مـــع
الإمام عبد الله بن حمزة المـــسعود الأيـــوبي
الإمام المذكور بنفسه وتقدم على رأس قواته إلـــى صـــنعاء
ومنها غزا مدينة حوث وبلاد الظاهر والجوف ووصل إلى
غيل مراد بالجوف الأسفل ثم عاد إلى صنعاء، ثم غادرهـــا
لمحاصرة حصن الواقع بين خولات وسنحان وضرب عليه
حصاراً وبنى مع ذلك إليه سوراً من أســـفله مبالغـــة فـــي
حصار من فيه حتى اضطر حالى تسليمه إليه ثم غزا
المسعود ن وأخضعها ثم عاد إلى صنعاء ومنهـــا
إلى تعز وكانذه الأحداث في عام 618هـــ.

استيلاء السلطان المسعود على مكة

كما غزا المسعود مكة في العام المذكور واستولى عليهـــا بالسيف وكان الحاكم فيها الشريف حسن بن علي بن قتادة ثم عاد إلى زبيد ومنها وصل إلى صنعاء.

زيارة المسعود لمصر ثم عودته إلى اليمن:

وفي عام 620هـــ قام المسعود الأيوبي بزيـــارة والـــده السلطان الكامل الأيوبي إلى مصر وأناب عنه فـــي الـــيمن الأمير نورالدين عمر بن علي رسول وأقام في مصر حوالي أربع سنوات ثم عاد إلى اليمن يحثه على العودة إليه خوفـــاً من استيلاء بني رسول على اليمن لأنفسهم حيث نمى إليـــه أن شأنهم أخذ يعظم بسبب ظهـــورهم وانتـــصارهم علـــى منافسي الدولة الأيوبية في المعارك التي قامت بين الجانبين خلال تغيب المسعود، ومنها وقعة حقل صنعاء التي حدثت بين الأمير نور الدين عمر بن علي رسول وبـــين مـــرغم الصوفي الذي ثار في عام 623 هـــ وقتل فيهـــا الـــصوفي المذكور.

ومنها وقعة عصر التي انتصر فيها الأميران حسن وعمر أبناء علي رسول على الأمير عز الدين بن الإمام عبـــد الله بن حمزة، وذلك في عام 623 هـــ أيضاً.

هذا ولما وصل المسعي إلى اليمن عائـــدا مـــن مصر قبض على الأمراء بدرالدين حسن وفخر الدين أبـــي بكر وشرف الدين موسى أبناء علي رسول وأودعهم معتقل دار الأدب في حصن تعز ثم أرسلهم منه إلى مصر حيـث اعتقلوا فيها.

الدين عمر بن علي رسول فأن الـــسلطان المأنس به ويميل إليه وصادف مع ذلك أنه كان عند القَبض على أخوته غائبا في عدن، ولما قدم المـسعود طمأنه ووعد بإطلاق أخوته بعد وصولهم إلى مصر.

وقد ذكر الدكتور حسين الهمداني فـي تاريخـه أن مـن أسباب قبض المسعود الأيوبي علـى الأمـراء الرسـوليين المذكورين أنه لم انتصر الأمير بدر الدين على الأمير عز الدين في وقعة عصر طلب الأمير بدر الدين من الـسلطان مدرك بن بشر بن حاتم أن يقول لسانه شعرا فـي الواقعـة ليرسله إلى السلطان المسعود فقال السلطان مدرك قـصيدة

منها:

سلا ذات سمط الدر والمارن الاقنى ومن
لدى عصر من أصدق الضرب والطعنا
شهدت صنعاء لوال بلاؤه
لما فارقت رعباً ولا رافقت أمنا

إلى قوله:

فقلا زالت الأخبار عنكم تسرنا
منا سركم في مصر مخبركم عنا

و لما أطلع السلطان الكامل عليها قال لوالده المسعود ((يا يوسف من هذا الذي يخاطبك بنون العظمة)) فقـال ((هـذا أمير لي في اليمن)) فقال أبوه ((ما هو بأمير بل هو نظيـر إن لم نثبت عليه وثبت عليك)) فأسرها يوسف في نفسه حتى عاد إلى اليمن في عام 642 هـ.

نهاية الدولة الأيوبية في اليمن

وفي 626 هـ/ 1228م غادر السلطان المسعود الأيوبي اليمن إلى مصر للمرة الثانية والأخيرة حيث استدعاه السلطان الكامل ملك مصر ليخلف ابن عمه المتوفى عيسى بن الملك العادل في ولاية الشام، ولفرحه بذلك أنشأ سفره من اليمن وقد بدأ به المرض الذي أقعده في مكة وكان سبب وفاته فيها.

وكان المسعود قد أناب عنه في اليمن نور الدين عمر بن علي رسول وقال له ((إني قد عزمت على السفر وقد جعلتك نائبي، فإن مت فأنت أولى بالملك حتى من أخوتي، لأنك خدمتني وعرفت منك النصيحة والاجتهاد، وإعشت فأنت على حالك، وإياك أن تترك أحدا يدخل اليمن من أهلي ولو جاء الملك والدي مطويا في كتاب)).

وبالسلطان المسعود انتهى ملك الأيوبيين في اليمن وقد ع وخمسين سنة، والأمير نور الدين عمر بن علي رسول بدأ ملك بني رسول[1].

[1] الحداد، تاريخ اليمن، 108.

الكرد الايوبيون
ودورهم في ارجاع مصر الى حاضرة السُنة

الأيوبيون إحدى الأسر الإسلامية التي حكمت المشرق الإسلامي لأكثر من ثلاثة أرباع القرن اعتبارا من 569هـ /1174م ولغاية 647هـ / 1250م.

وهم ينتمون من ناحية الأصل الى الجنس الكردي[1]، ذلك الجنس الذي يقع موطنه في قلب الأحداث التي عاصرت المشرق الإسلامي إبان عصر الحروب الصليبية، فكان لهم دور لا يستهان به مع أشقائهم العرب ومن ثم العمل على تحرير المشرق الاسلامي منهم.

وأما بخصوص الجذور التاريخية للأيوبيين فهم ينتسبون الى أيوب بن شادي من بلدة دوين الواقعة عند آخر حدود إقليم أذربيجان بالقرب من مدينة تفليس في ارمينيا، وجميع أهل

ذلك البلد من الكرد الروادية إحدى بطون قبيلة الهذبانية، وهذه القبيلة من اشرف الأكراد ولم يجر على احد منهم الرق[2].

غير أن بعض الكتاب من القدامى والمعاصرين ادعى بان الأيوبيين ينتمون الى الجنس العربي - وبالتحديد هم من نسل شادي بن مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين- استنادا الى الرواية التي ذكرها ابن أبي طي بن المعز بن سيف الإسلام أبا الفدا اسماعيل بن طغتكين بن أيوب ملك اليمن (593 – 598هـ / 1197 - 1202م) ادعى انه من بني أمية وعزم على إعادة الخلافة الى بني أمية، فاتخذ لنفسه لقب خليفة وذلك بهدف إضفاء الشرعية على حكمه[3]، غير أن عمه الملك العادل ابو بكر نفى هذا الادعاء وصرح انه من أصل كردي[4].

وفي رواية لابن خلكان قال: (ليس لهذا الأصل أصلا)[1]، بينما ادعى المؤرخ الروسي مينورسكي بان للأسرة الأيوبية صلة بالأصول القوقازية والإيرانية، وان والد صلاح الدين وعمه عندما قدما الى العراق لم يكونا من البدو وانما كانا يحملان معهما خبرة في الشؤون السياسية والإدارية في بلاد متحضرة[6].

وكان المقريزي حاسما في رده على المحاولات التي سعت الى قطع الصلة بين الأيوبيين وأصلهم الكردي والاكتفاء

بالأصل العربي بقوله: (وهذه أقوال الفقهاء ممن أراد الحظوة لديهم لما صار الملك اليهم)[7].

وفي بداية القرن السادس الهجري/ الثالث عشر الميلادي تحرك شادي جد الأسرة الأيوبية قاصدا العراق، حيث اتصل بالسلجوقيين في عهد السلطان مسعود غياث الدين محمد بن ملكشاه السلجوقي فعينه شحنة[8] بغداد مجاهد الدين بهروز الخادم دزدارا[9] لقلعة تكريت، وفي رواية ان بهروز الخادم عين نجم الدين أيوب بن شادي محافظا لقلعة تكريت. وقد اختلف المؤرخون حول مكان ميلاد ابني شادي (نجم الدين أيوب) و(أسد الدين شيركوه)، وهذا ناتج من عدم تحديد المؤرخين والبلدانيين لموقع بلدة دوين وهل تقع ضمن حدود إقليم أذربيجان من ناحية الشمال[10]، أو أن دوين تقع في أرمينية على أساس أن بعضهم يضع الران ضمن حدود الاقليم الاخير، وهذا ما دعا احد الباحثين الكرد الى جعل دوين الواقعة في شمال اربل (اربيل) مسقط رأس الأسرة الأيوبية لاسباب معروفة لا تخفى الباحثين[11]، علما بان هذه المنطقة تقع ضمن حدود الجزيرة وليس ضمن إقليم أذربيجان[12] وفق طروحات العديد من البلدانيين المسلمين، فضلاعن ذلك ان البلداني الشهير ابن حوقل ذكر أن (المناطق الواقعة بين الزاب الكبير والزاب الصغير تتميز بمراعيها الكثيرة

وصناعتها العامرة وقد اتخذها الأكراد الهذبانية)[13] ديارا لهم ولحيواناتهم على أساس أنها مثل بقية القبائل الكردية في تلك الفترة والى منتصف القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي كانت تمتهن حياة البداوة والتنقل بين المصايف (زوزان) في الشمال أي مناطق أرمينيا وأذربيجان وإقليم الران (المشاتي) في الجنوب أي مناطق الجزيرة. ولا حاجة لسرد الأدلة التي تثبت بان الأسرة الأيوبية على أساس انتمائها الى القبيلة الهذبانية كانت ديارها الأصلية تقع في إقليم الجزيرة (ديار الكرد) ضمن ما يسمى الآن (كردستان العراق)، وان بعض بطون هذه القبيلة قد انتقلت أثناء رحلة البدو المعروفة الى إقليم الران الذي يقع بين إقليمي أذربيجان وأرمينية واستقروا هناك لسبب أو لآخر.

ومهما يكن من أمر فان رواية أخرى لابن ابي طي تثبت بأن أيوبا قد خدم السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي وانه اقطعه تكريت وفاء لأمانته، ولما ولي السلطنة السلطان مسعود بن ملكشاه منح تكريت كإقطاع لبهروز الخادم شحنة بغداد، فاقر هذا نجم الدين أيوب مستحفظا لها وأضاف اليه النظر في جميع المناطق المتاخمة لها[14]. وفي تلك الآونة كانت الصراعات على أشدها بين أولاد السلطان ملكشاه وأحفاده حول السلطة والنفوذ على مقدرات الخلافة العباسية،

إذ كانت الأوضاع في الدولة السلجوقية قلقة نتيجة المنافسات والصراعات المستمرة بين أفراد البيت السلجوقي، وهذا ما ألقى بظلاله على أحوال الأسرة الأيوبية أيضا، لان عماد الدين زنكي بن اقسنقر[15] اتابك[16] الموصل تحالف مع السلطان السلجوقي مسعود بن ملكشاه وهاجما بغداد معاً عام 526هـ، غير أنهما اندحرا أمام قوات الخليفة العباسي **المسترشد بالله**(215 – 529هـ)، أما عماد الدين زنكي فتقهقر باتجاه تكريت الواقعة شمال بغداد بموازاة الضفة الشرقية لنهر دجلة، فاستقبله حاكمها نجم الدين أيوب وأكرم وفادته وقدم له السفن اللازمة لعبوره الى الضفة الغربية لنهر دجلة، ومنها يستطيع السير باتجاه معقله في الموصل وترتب على هذه المساعدة نتائج بالغة الأهمية على مستقبل الأسرة الأيوبية لأنها كونت لها حليفا قويا يمكن الاعتماد عليه، ومن جانب آخر اغضب بهروز الخادم حليف الأسرة القديم الذي عد مساعدة أيوب الزنكي خروجا على السلطة في بغداد[17].

وفي الوقت نفسه حصلت حادثة استبدت القلق ببهروز وزادت من مخاوفه وهي قتل أسد الدين شيركوه أخي نجم الدين أيوب احد مماليك بهروز من (النصارى)[18] بسبب اعتدائه على امرأة واستغاثة المرأة به، فطلب منهم الأخير

الخروج من تكريت وشاء القدر أن يولد لنجم الدين ولد في تلك الليلة من سنة 532هـ سماه يوسف (صلاح الدين)[19].

وهكذا خرج الأخوان الى الموصل قاصدين الأتابك عماد الدين زنكي[20] الذي رحب بهما وعرف قدرهما ردا لجميلهما القديم، واقطعهما اقطاعات كثيرة، ومن ذلك الوقت انخرطا في حاشيته وأصبحا من المقربين لديه، ولما فتح زنكي قلعة بعلبك سنة 533هـ وانتزعها من أيدي الصليبيين، اسند حكم بعلبك الى نجم الدين أيوب، ولم يزل واليا عليها الى أن قتل عماد الدين زنكي أمام قلعة جعبر عام 541هـ.

وهكذا تربى يوسف صلاح الدين في بيت عرف العز والمجد وتربى منذ نعومة أظفاره على حياة الجندية والفروسية[21]، فانتقل نجم الدين أيوب الى خدمة معين الدين انر حاكم دمشق، بعد أن شعر بحراجة موقفه بعد أن حاصره حاكم دمشق في قلعة بعلبك وطالبه بتسليمها اليه في الوقت الذي أحجم سيف الدين غازي الذي خلف والده عماد الدين زنكي في حكم الموصل عن مساندته، لذا اضطر الى تسليم القلعة الى انر مقابل تعويضه اقطاعا جيدا في دمشق مع مبلغ كبير من المال[22]، ولم يلبث أن أصبح من المقربين لديه حتى وصل الى منصب القائد العام لقوات دمشق، وكان له اثر كبير

في إنقاذ دمشق من السقوط أثناء الحملة الصليبية الثانية عام 543هـ التي استشهد فيها ابنه شاهنشاه[23].

اما أخوه أسد الدين شيركوه قد اتصل هو أيضا بنور الدين محمود بن عماد الدين زنكي في حلب الذي قربه ومنحه اقطاعان وجعله مقر جيشه نظرا لشجاعته وجرأته في الحروب، حيث يذكر ابن شامة عنه ما نصه: (فقربه نور الدين واقطعه، وكان يرى منه في حروبه ومشاهده آثارا يعجز عنها غيره لشجاعته وجرأته)[24]. ولذا اقطعه مدينتي حمص والرحبة[25]. وقد شارك شيركوه في جميع الحروب التي قام بها نور الدين ضد الغزاة الصليبيين، كما كان له اثر كبير في سيطرة نورالدين على دمشق وانتزاعها من آل أنر بالتنسيق مع شقيقه نجم الدين أيوب عام 549هـ، فعين نجم الدين أيوب واليا على دمشق، وعين أسد الدين شيركوه حاكما على حمص ونائبا عنه في دمشق، وعندما مرض نور الدين وخشي على نفسه أوصى بان تسند ولاية دمشق لشيركوه[26].

وعندما استنجد شاور وزير الخليفة العبيدي العاضد بنور الدين، اختار شيركوه على رأس الجيش المتوجه الى مصر، وقد صحبه ابن أخيه صلاح الدين في هذه الحملة وفي الحملات الأخرى واثبت قدرة وشجاعة وحنكة سياسية وبعد نظر[27]، فأهلته هذه الصفات الى أن يتبوأ منصب الوزارة

عند الخليفة العبيدي (الفاطمي) العاضد سنة 564هـ بعد وفاة عمه شيركوه[28].

تولي صلاح الدين الوزارة العبيدية (الفاطمية) في مصر

تعد تولية صلاح الدين لمنصب الوزارة العبيدية (الفاطمية) صفحة جديدة في تاريخ الشرق الأدنى الاسلامي اثبت فيها قدرة وكفاءة وشجاعة وحزماً مكنته من القضاء على مختلف المشكلات والمعوقات التي واجهته قبيل توليه هذا المنصب او أثنائه، مما مكنه من العمل بكل جد وإخلاص لتنفيذ المهمة الملقاة على عاتقه وهي جر مصر من جديد الى خانة الخلافة العباسية السنية والقضاء على الدولة العبيدية الباطنية التي كانت تعيش في حقيقة الأمر أيامها الأخيرة على وقع دسائس وزراء وموظفي البلاط العبيدي واستنجادهم بالصليبيين بين الحين والآخر.

فمنذ لحظة وفاة أسد الدين شيركوه تطلع كثير من الأمراء النورية الذين رافقوا الحملة الشامية الى مصر الى منصب الوزارة مثل قطب الدين ينال بن حسان المنبجي، وعين الدولة الياروقي، وشهاب الدين محمود الحارمي خال صلاح الدين، وسيف الدين احمد المشطوب الهكاري الكردي(29).

في حين ظل صلاح الدين في الظل صامتا، لكن جاءته المساندة من الفقيه عيسى الهكاري ورشحه لهذا المنصب

وتمكن من استقطاب المشطوب الهكاري والحارمي الى جانبه، لكن الخليفة العبيدي العاضد اختار صلاح الدين لهذا المنصب لاعتقاده أن صغر سنه سوف يرغمانه على الاعتماد على موظفي القصر، وتجعله أداة طيعة في يد الخليفة يستغلها في القضاء على بقية الأمراء النوريين أعوان أسد الدين شيركوه. وهكذا اصدر العاضد أمرا الى القاضي الفاضل بإنشاء سجل لتولية صلاح الدين الوزارة ولقبه بالملك الناصر وذلك في جمادي الآخرة سنة 564هـ(30).

صلاح الدين والقضاء على الخلافة العبيدية (الفاطمية)

قبل التطرق الى السياسة التي اتبعها صلاح الدين بقصد القضاء على الخلافة العبيدية في مصر وإرجاعها من جديد الى خانة الخلافة العباسية بقصد توحيد الخلافة من جهة، والقضاء على ثورة الباطنية في مصر التي استفحلت وكان لها اثر كبير في إخضاع المنطقة لهيمنة القوى الصليبية التي كان للعبيديين دور كبير في التعاون معهم بقصد تقسيم بلاد الشام بينهما: شمالها بما فيها منطقة الجزيرة الفراتية ومنطقة انطاكية للصليبيين، وجنوب بلاد الشام بما فيها القدس للعبيديين، وسنلتزم ببحثنا هذا بلفظة العبيدية بدلا من الفاطمية حيث ان المؤسس الحقيقي لهذه الدولة هو عبيد الله فالنسبة اليه صحيحة بعكس تسمية الفاطميين التي تعد غير صحيحة ـ وهو نسب ادعاه هؤلاء الباطنية ـ واثبت المؤرخون زيفه.

ومؤسسو الدولة العبيدية ينتمون الى الاسماعيلية إحدى الفرق الشيعية التي ادعت بان الإمامة قد انتقلت من جعفر بن محمد (الصادق) الى ابنه الأكبر اسماعيل، علما بان اسماعيل هذا قد توفي في سنة 143هـ قبل وفاة والده بخمس سنوات، وقد أراد جعفر أن يؤكد وفاة ابنه بأقوال شهود عديدين بجانبهم والي المدينة[31].

ويبدو أن جعفر أراد بهذا الإجراء منع غلاة الشيعة من الزعم بعدم موت ابنه اسماعيل، ولكن إجراءاته هذه ذهبت أدراج الرياح، إذ انقسم أتباعه بعد ذلك الى ثلاثة فرق:

الاولى: قالت بإمامة موسى الكاظم وعرفوا بالشيعة الإثنا عشرية[32].

الثانية: قالت أنها منتظرة لاسماعيل، لان اسماعيل لم يمت، ولكنه اظهر موته **خوفاً من خلفاء بني العباس**[33].

الثالثة: قالت أن جعفر نصب ابنه اسماعيل للإمامة بعده، فلما مات اسماعيل في حيبه، علمنا انه إنما نصب اسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن اسماعيل، فالنص لا يرجع القهقرى والى الوراء)، والفائدة في النص بقاء الإمامة في أولاد اسماعيل دون غيره ويقال لهؤلاء المباركية، نسبة الى مولى لاسماعيل بن جعفر اسمه المبارك.

ويطلق على الاسماعيلية عدة أسماء وألقاب منها: الباطنية لادعائهم أن ظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشرة، ومنها: السبعية لاعتقادهم أن ادوار الإمامة سبعة، محمد بن اسماعيل بن جعفر انتهى دور الإمامة له، إذ كان هو السابع من محمد صلى الله عليه وسلم – وأدوار الإمامة عندهم سبعة- فأكبرهم يثبتون له منصب النبوة، وان ذلك يستمر في نسبه وعقبه.

وفيما يأتي نثبت الجدول الذي يبين بوضوح أدوار الإمامة السبعة التي انتهت بمحمد بن اسماعيل.

ت	الناطق	الأساس (أو الصامت الأول أو الإمام من الصوامت وهم لائحة السبعة)
1	آدم	شيث (لكل صامت أو إمام اثنا عشر حجة أو نقيبا)[34]
2	نوح	سام
3	إبراهيم	إسماعيل
4	موسى	هارون
5	عيسى	شمعون بطرس
6	محمد بن عبد الله	علي بن أبي طالب وأعقابه الحسن والحسين وعلي (زين العابدين) ومحمد (الباقر) وجعفر (الصادق) وإسماعيل
7	محمد بن إسماعيل	عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح، وابناه احمد ومحمود وحفيده سعيد الذي عرف فيما بعد (عبدالله المهدي) مؤسس الدولة العبيدية (الفاطمية) في المغرب، وقد ادعى انه حفيد محمد بن إسماعيل[35].

ومما تجدر الإشارة اليه أن جعفر قد خلف عدة أبناء وهم: اسماعيل، محمد، عبدالله، موسى، الكاظم، علي.

ولما كان موضوع بحثنا يتعلق بكيفية ظهور الدولة العبيدية الى عالم الوجود، لذا فان غالبية المؤرخين يرجعون أصولهم الى أبي الخطاب من أسرة القداح التي ينتمي اليها ميمون بن ديصان وابنه عبدالله وهذا ما أوضحه الباقلاني: (**ان القداح جد** عبيدالله كان مجوسيا ودخل عبيد الله المغرب وادعى انه علوي ولم يعرفه احد من علماء النسب وكان باطنيا خبيثا حريصا على إزالة ملة الإسلام وكان القداح كاذبا مخرفا وهو **أصل دعاة القرامطة**)[36].

أما ابن النديم فيذكر رواية جديرة بالتأمل نقلا عن ابن رزام مفادها: (ان ميمونا كان يعرف بالقداح[37]، **وكان من** أهل قوزح العباس بقرب مدينة الأهواز، واليه تنسب الفرقة المعروفة بالميمونية، التي أظهرت أتباع أبي الخطاب، وزعمت أن العمل بظواهر الكتاب والسنة حرام، وجحدت المعاد، وكان هو وابنه ديصانيين[38]، وكان ابنه عبدالله يظهر الشعوذة، ويذكر أن الأرض تطوى له فيمضي الى أين أحب في اقرب مدة، وكان يخبر بالأحداث الكائنات في البلدان

الشاسعة، وكان له مرتعون في مواضع يرغبهم ويحسن إليهم ويعاونونه على نواميسه، ومعهم طيور يطلقونها من المواضع المتفرقة الى الموضع الذي فيه بيت عبدالله فيخبر من حضر بما يكون، ثم هرب بعد ذلك الى مدينة سلمية[39] **بقرب** حمص، واشترى هناك ضياعا وبث الدعاة الى سواد الكوفة، فأجابه من هذا الموضع رجل يعرف بحمدان ويلقب ـ **بقرمط** لقصر كان في متنه وساقه ـ وقرمط هذا أكار أبقار في القرية **المعروفة بـ**(قس بهرام) وكان داهية[40].

كما يؤكد البغدادي مجوسية ميمون القداح أيضا ويقول: (أن غرض الباطنية الدعوة الى دين المجوسيين بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة، والدليل على ذلك زعيمهم الأول ميمون بن ديصان كان مجوسيا من سبي الأهواز فدعا ابنه عبدالله بن ميمون الى دين ابيه)[41].

كما أن الحمادي ارجع نسب عبدالله بن ميمون **القداح الى** اليهودية بقوله : (ان عبدالله بن ميمون يعتقد اليهودية ويظهر الاسلام وهو من اليهود من ولد الشلعلع، بل انه من أحبارهم وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب وكان صائغا فيخدم شيعة اسماعيل بن جعفر الصادق) [42].

والمعتزلة أيضا يؤكدون صلة القداح باليهود فهذا الهمداني يقول: (ان جد القداحين يهودي حداد كان يقيم في سلمية من ارض الشام) [43].

ثم يتطرق الهمداني الى الطريقة التي تمكن بها هذا اليهودي من التغلغل وادعاء النسب العلوي بقوله: (ان والدة هذا اليهودي مات عنها زوجها وتزوجت بعده برجل اسمه الحسين من آل البيت وانه أحب هذا الولد لما فيه من ذكاء وفطنة وتولى تربيته وعرفه أسرار الدعوة ورجالها وظهر كأحد أبنائه ثم ورث ادعاءاته للإمامة) [44].

ومن الوسائل والطرق التي اتبعها عبدالله القداح للوصول الى مآربه ما يذكره ابن الاثير: (ان عبدالله بن ميمون علم ان هناك رجلا في نواحي الكرخ واصبهان يعرف بمحمد بن الحسين ويلقب بـ(دندان) يتولى تلك المواضع وله نيابة عظيمة، يبغض العرب ويجمع مساوئهم، فسار اليه القداح، فأشار عليه أن لا يظهر ما في نفسه، إنما يكتمه ويظهر التشيع والطعن على الصحابة، فان الطعن فيهم طعن في الشريعة، فعن طريقهم وصلت الى من بعدهم، فاستحسن قوله وأعطاه مالا عظيما ينفقه على الدعاة الى هذا المذهب) [45].

أما المقريزي فيأتي برواية أخرى جاء فيه: (أن ميمون القداح كان له مذهب في الغلو، وكان له ابن يسمى بـ(عبدالله) كان عالما بجميع الشرائع والسنن والمذاهب، وقد وضع سبع دعوات يتدرج الانسان فيها حتى ينحل عن الاديان كلها ويصير معطلا إباحيا لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا، حتى اشتهر وصار له دعوة فجاء الى البصرة فعرف أمره ففر منها الى سلمية، فولد له بها ابن اسمه احمد فلما مات قام من بعده ابنه احمد وبعث بالحسين الاهوازي داعيته الى العراق، فلقي احمد بن الاشعث المعروف بقرمط في سواد الكوفة ودعاه الى مذهبه فأجابه، والى قرمط تنسب القرامطة، وولد لاحمد بن عبدالله بن ميمون القداح، الحسين ومحمد المعروف بابي الشلعلع، فلما مات احمد خلفه الحسين في الدعوة حتى مات، فقام من بعده أخوه أبو الشلعلع، وكان لأحمد بن عبدالله ولد اسمه سعيد فصار تحت حجر عمه، وبعث أبو الشلعلع بداعيين الى المغرب وهما: أبو عبدالله وأخوه العباس فنزلا في البربر ودعوها، واشتهر سعيد بالسلمية في بلاد الشام بعد موت عمه وكثر ماله فطلبه السلطان، ففر من السلمية الى مصر يريد المغرب، وكان على مصر عيسى النوشري، فورد عليه كتاب الخليفة ببغداد بالقبض عليه ففاته وصار بسجلماسة

في المغرب في زي التجار متنكراً، فبعث الخليفة المعتضد من بغداد في طلبه، فأخذه وحبسه حتى أخرجه أبو عبدالله الشيعي من حبسه، فتسمى حينئذ - بعبيد الله - **وتكنى بابي محمد وتلقب بالمهدي**، وصار إماما علويا من ولد محمد بن اسماعيل، وإنما هو سعيد بن الحسين بن احمد بن عبدالله بن ميمون القداح) [46].

وقد جادل بعض المستشرقين ومنهم (الروسي ايفانوف) في إنكار التشكيك في نسب القداح لعبيد الله المهدي، واعتبر شخصية عبدالله بن ميمون القداح اسطورية، وانه ليس إلا رمزا للإمامة الاسماعيلية، وان مؤامراته ومخططاته المزعومة لم تكن سوى رمز لنشاط الحركة الشيعية[47]. وعلى الرغم من هذا الإنكار فان كثيرا من المصادر الاسماعيلية في الطور الاول (**دور الستر**)[48]، فميمون القداح عند هذه المصادر هو باب الأبواب، ومن الطبيعي أن يبقى مرافقا للإمام في حله وترحاله[49].

ومن جانب آخر فان المصادر السنية مدعومة من بعض المعتزلة والإمامية بل وبعض الاسماعيلية يؤكدون: **بان محمد** بن اسماعيل بن جعفر مات ولم يعقب، وهذا مما أدى الى أن يستلم الإمامة حجته عبدالله بن ميمون القداح، وظلت مستمرة

في عقبه المستورين حتى ظهر عبيد الله المهدي وأعلن إمامته، وهو من نسل القداحين وعند ذلك حصلت الخلافات والانشقاقات بين الاسماعيليين أنفسهم وبين القرامطة الذين حاولوا جاهدين البحث عن الإمام الداعي وقتله[50].

وقد حاول المستشرق اليهودي برنارد لويس إزالة هذا **الغموض** الناتج عن وجود أبناء لمحمد بن اسماعيل بن جعفر وكيف بدأ آل القداح قيادة الدعوة الاسماعيلية ومن ثم إعلان عبيد الله المهدي وهو حفيد القداح إمامته، عن طريق الأبوة الروحانية أو النكاح الروحاني حيث يقول في هذا الصدد: (**ان** الحركة الباطنية بما لها من غنوصية[51] (عرفانية) وبتعويلها الشديد على النواحي الباطنية للاشياء دون النواحي الظاهرية، بلغت بسهولة وبشكل طبيعي حداً اعتبرت فيه العلاقة بين الأب وابنه – وهي تتصل بالبدن التافه (**الجسم**) **الزائل وحده**- اقل أهمية وحقيقة من العلاقة بين المعلم والتلميذ المنبعثة من **النفس** الخالدة، وينتج عن هذه العقيدة ان التلميذ أحرى بان يكون الابن هو الوارث الحقيقي من النسل الطبيعي **للإنسان**[52]. ويبرهن برنارد لويس على صحة كلامه برواية عن المؤرخ الفارسي رشيد الدين الذي أرخ للمغول: (**بان** جعفر أرسل حفيده محمد اسماعيل في صحبة ابن شاكر

ميمون الديصاني المعروف بميمون القداح الى طبرستان (جنوب بحر قزوين)، وبعد وفاة جعفر أودع ميمون القداح ولده عبدالله الى محمد بن اسماعيل قائلا: (ان الأبوة الجسمانية تكون من ولادة الطفل المادية وليس غير، بينما تكون الأبوة الروحانية من ملازمة شخص آخر معين، فنقول إن فلانا ابن فلان لأنه تخرج عليه، أفلا يكون الذي يتلقى العلم والمعرفة اللتين هما جوهر الحياة الروحانية من رجل آخر هو أنه الحقيقي، فأنا مثلا أنجبني جعفر بن محمد روحانيا. ثم أصبحت بما كشف لي من أسرار العلم أهلا لأن أكون انتسب اليه وان اعتبر نفسي ابنه)، والخلاصة فإنني انهي كلامه بقوله: (عبدالله هو ابن محمد بن اسماعيل ووارثه الذي لا يتقدم عليه احد، وقد أودعه الي لأنشئه واعصمه من مكائد أعدائه)، ولما بلغ عبدالله السابعة عشر من عمره نادى ميمون القداح بإمامته، ولم يعترض الشيعة الاسماعيلية على ذلك[53].

ومهما يكن من أمر فان التشكيك في النسب الاسماعيلي، وبالتالي في أئمة الدولة العبيدية جاء من الاسماعيليين أنفسهم قبل خصومهم العباسيين بفترة طويلة (وهذا هو السبب الاول في خروج القرامطة عن طاعة عبيد الله المهدي)، فالقرامطة استطاعوا أن يعرفوا اسم الإمام وقابلهم الرجل صاحب هذا

الاسم وبارك حركتهم، ولما عادوا اليه مرة أخرى وجدوا شخصا آخر يحمل نفس الاسم وأشار اليه من حوله بأنه الإمام، فشك زعماء القرامطة في الإمام وفي الدعوة نفسها، وحاربوا عبيد الله ونهبوا أمواله وقتلوا عائلته، ودعوا الى أنفسهم، وهذا ما حدث أيضا لأبي عبدالله الشيعي الذي مكن للاسماعليين بين قبيلة كتامة، فانه قبل سفره الى بلاد المغرب زار الإمام بالسليمة، فقابله شخص على انه الإمام، ولكن بعد ظهور المهدي في المغرب رأى أبو عبدالله الشيعي أن المهدي ليس هو الإمام الذي قابله بالسليمة، وتطرق الشك في نفسه الى درجة أن أفضى بذلك الى أخيه أبي العباس وبعض رؤساء كتامة، وكادت تحدث ثورة لو لم يبادر المهدي الى قتل أبي عبدالله الشيعي وأخيه أبي العباس[54]. ووصل الأمر بإتباع الاسماعيلية بعد ذلك أن قام الحسن الأعصم القرمطي خطيبا على منابر دمشق ليعلن أن ـ المعز لدين الله من سلالة القداح- وان القداح وأسرته كانوا كالقرامطة يدعون للائمة المستورين[55].

ويبدو أن التناقض والتخبط في المصادر الاسماعيلية نفسها حول دور المستور وعدم إيجاد الحلول للحقبة الزمنية لها بجانب عدم حل الإشكالية القائمة ما بين أئمة المستور

والظهور، دليل كاف على وجود زيف وانتحال هؤلاء الباطنية للنسب الفاطمي للوصول الى مآربهم للقضاء على الخلافة الاسلامية ومحاولة تدمير الاسلام والمسلمين معا، كما أن اعتماد الخلفاء العبيديين غير الاعتيادي على اليهود لشغل مناصب حساسة في الدولة كالوزارة وغيرها، لفت أنظار الكثير من المؤرخين الى أن آل القداح من النسب اليهودي، وفي هذا الشأن يقول الحمادي: (والدليل على أن آل نال القداح من ولد اليهود استعمال اليهود في الوزارة ورياسة وتفويضهم اليهم تدبير السياسة، وما زالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم وذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل احد)[56]. وقد استطاع هؤلاء العبيديون بمكرهم واستغلالهم للخلافات والانقسامات التي حدثت في الوطن الاسلامي عامة والمغرب خاصة أن يحكموا الجزء الغربي منه لفترة طويلة تربوا على القرنين، وفي هذا الصدد يقول ابن كثير: (وقد كانت مدة ملك الفاطميين (العبيدين) **مائتي سنة وكسرا** (297-567هـ)، فصاروا كأمس الذاهب: (كأن لم يغنوا فيها)[57]

وكان أول ملك منهم المهدي، وكان من سلمية حداد اسمه عبيد، وكان يهوديا، فدخل بلاد المغرب وتسمى بعبيد الله، وادعى بأنه شريف علوي فاطمي، وقال عن نفسه انه المهدي،

كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء والأئمة بعد الأربعمائة، والمقصود أن هذا الدعي الكذاب راج له ما افتراه في تلك البلاد، وآزره جماعة من الجهلة، وصارت له دولة وصولة، ثم تمكن الى أن بنى مدينة سماها المهدية نسبة اليه، وصار ملكا مطاعا، يظهر الرفض وينطوي على الكفر المحض، ثم كان من بعده ابنه القائم محمد، ثم ابنه المنصور اسماعيل، ثم ابنه المعز، وهو أول من دخل ديار مصر منهم، وبنيت له القاهرة المعزية والقصران، ثم ابنه العزيز نزار، ثم ابنه الحاكم منصور، ثم ابنه الطاهر علي، ثم ابنه المستنصر معد، ثم ابنه المستعلي احمد، ثم ابنه الآمر منصور، ثم ابن عمه الحافظ عبدالمجيد، ثم ابنه الظافر اسماعيل، ثم الفائز عيسى ثم ابن عمه العاضد عبد الله وهو آخرهم، فجملتهم أربعة عشر ملكا، مدتهم مائتان ونيف وثمانون سنة[58]، وكذلك عدد خلفاء بني أمية أربعة عشر أيضا ولكن مدتهم نيف وثمانون سنة...).

مراحل التغيير ودمج مصر بالخلافة العباسية

وحالما استقر صلاح الدين في الحكم بعد استيزاره من قبل الخليفة العبيدي العاضد بالله، بدأ في محاولة إيجاد وحدة بين مصر وسوريا، وهذه لن تأتي من فراغ بل عليه إيجاد الوسائل اللازمة، فقد كانت هناك خلافتان تحكمان العالم الاسلامي آنذاك الخلافة العباسية السنية في بغداد، والخلافة الباطنية في القاهرة، ونظراً لكونه وزيراً سنياً مرسلاً من قبل نور الدين محمود، لذا كان يتعين عليه اتخاذ الخطوات اللازمة لإنهاء هذا التناقض، لا سيما وان الخطر الصليبي كان جاثما على مصر من جهة الشرق، فملك بيت المقدس كان لديه إطماع في مصر نظرا لموقعها الجغرافي ومواردها البشرية والاقتصادية، إضافة الى السلطان نور الدين محمود كان يضغط بشدة على صلاح الدين لإلغاء الخلافة العبيدية وإعادة مصر الى الخلافة العباسية حتى تتظافر الجهود من اجل استرداد بيت المقدس وإخراج الصليبيين من بلاد الشام.

ولكن صلاح الدين لم يشأ أن يعمل بسياسة حرق المراحل والتغيير السريع، خوفا من ردود الفعل التي لا تحمد عقباها، فبدأ بإنشاء جيش خاص به اعتمادا على المماليك

الأسدية والمماليك الذين اشتراهم لنفسه وسماهم الصلاحية والأحرار من الكرد الذين دخلوا في خدمته بمجرد تعيينه وزيرا. وللوقوف بوجه الجيش العبيدي المكون من فرق عديدة من الفرسان البيض والمشاة السودانيين[59]، كما استقدم والده وإخوته للتعويض عن الفراغ الذي تركه عزل الشخصيات الموالية للعبيديين، فعين والده مسؤولا عن الخزانة مما أتاح له المجال للسيطرة على مقدرات الدولة المالية[60].

أما الجانب الأكثر أهمية الذي أولاه صلاح الدين القسط الأكبر من اهتمامه فهو التدابير الدينية اللازمة لإضعاف المؤسسة الاسماعيلية وتعزيز المذهب السني، ومن هذه الإجراءات:

1- في عشرة ذي الحجة عام 565هـ / 25آب 1170م أبطل من الأذان (حي على خير العمل) وأمر بأن يذكر في الخطبة أسماء الخلفاء الراشدين.

2- نزع من محاريب مساجد القاهرة المناطق الفضية التي فيها أسماء الخلفاء العبيديين الاربعة عشر.

3- أثار من جديد قضية التشكيك في النسب العبيدي التي أثيرت لأول مرة سنة 333هـ ولم تمض سنوات قليلة من حكمهم للمغرب الاسلامي[61].

4- قام بتعزيز المذهب الشافعي الذي ينتمي اليه صلاح الدين، ففي محرم عام 566هـ/ أيلول 1170م أمر بهدم دار المعونة المجاورة للجامع العتيق في مصر وبني على أنقاضها مدرسة للشافعية[62].

5- بنـي دار الغـزل المجـاور لبـاب الجـامع العتيـق وخصصها للمالكية، وعرفت بالمدرسة القمحية.

6- غير دار سعد السعداء الواقعة شمال القصر الفاطمي الشرقي الى خانقاه للصوفية[63].

7- أبطل مجالس الدعوة الاسماعيلية في القصر والجامع الازهر.

8- عزل جميع القضاة الشيعة الاسماعيلية وعين محلهم قضاة الشافعية، كما فوض قضاء مصر في شهر جمادي الآخرة عام 566هـ، اذار 1171م الى القاضي الشافعي صدر الدين ابي القاسم عبدالملك عيسى الماراني، وهذا مما عزز المذهب الشافعي في مصر.

9- قام بنشر المذهب الأشعري على خطى السلاجقة كمذهب يمثل أهل السنة والجماعة.

10- عين القاضي الفاضل رئيسا لديوان الإنشاء كي يضمن مراسلات الدولة خوفا من إفشاء الأسرار[64].

الصعوبات التي واجهت الوزير الناصر صلاح الدين

لقد واجهت الناصر صلاح الدين في بدء حياته السياسية الكثير من الصعوبات والمعوقات التي تواجه أي شخص يعتلي منصبا خطيرا في دولة كانت تمر بمرحلة انتقالية، فصلاح الدين وزير لخليفة شيعي اسماعيلي وهو مرسل في الوقت نفسه من قبل سلطان سني همه الوحيد إرجاع مصر الى الخلافة العباسية، وهذا يتوافق الى حد كبير مع طموحات صلاح الدين التي تتجاوز تحقيق امنيتين جاهد طوال حياته في سبيلها على حد تعبير المستشرق فيليب حتي (الأول إحلال السنة محل الشيعة في مصر، والثانية مواصلة الجهاد والحرب على الافرنج)[65]. فالدولة العبيدية لا زالت موجودة وان كان الضعف يسري في أوصالها منذ فترة بعيدة، فضلا عن أن كثيرا من مؤسساتها لا زالت موجودة بما فيها الجيش كالفرقة السودانية المشهورة لكثرة عددها ومن جانب آخر فان الخطر الصليبي لا زال جاثما على الحدود الشرقية لمصر والشام. وقد اتخذ الناصر عدة إجراءات كانت كفيلة بتحقيق ما كان يرجوه:

1 – استمال قلوب المصريين عند طريق بذل المال لهم، في الوقت الذي كان الخليفة العبيدي العاضد قد ضيق عليهم[66].

2- طلب المدد من نور الدين محمود الذي سرعان ما أرسل له المساعدات العسكرية، وكان أخوه الأكبر **توران شاه**[67] ضمن إحدى هذه المجموعات.

3- نقص أقطاع العسكريين والموظفين المصريين التابعين للدولة العبيدية وعدّت هذه الإجراءات مؤامرة مؤتمر الخلافة[68] وغيره الى تهميش دور الخليفة العبيدي العاضد

واستياء كبير الطواشية مؤتمر الخلافة قائد الفرقة السودانية الذي أدرك بسرعة أن سياسة صلاح الدين في حالة استمرارها ستؤدي لا محالة الى تقويض بنيان الدولة العبيدية (الفاطمية) ولما كان طامعا هو الآخر في تبوء منصب الوزارة بعد (شاور) الذي سبق وأن قتله صلاح الدين سنة 564هـ جزاء خيانته واتصالاته المريبة والمتكررة مع الصليبيين في مملكة بيت المقدس، لذا حاول مؤتمن الخلافة الاتصال بمعموري الأول ملك بيت المقدس الصليبي لتحريضه على مهاجمة مصر متمنيا في حال خروج صلاح

الدين للقائه والتصدي له، أن يلقي القبض على من بقي من أعوان صلاح الدين في القاهرة وأن يستولي على مقاليد الحكم

ويتولى منصب الوزارة، ويتقاسم بلاد مصر مع الصليبيين[69]، غير ان صلاح الدين اطلع على خيوط المؤامرة . حيث شك احد رجاله في شكل الخفين اللذين اتخذهما رسول مؤتمن الخلافة الى عموري الأول، فأخذهما ونزع خياطتهما، فاكتشف الرسالة بداخلها، وبعد التحري الدقيق ثبت أن كاتب الرسالة يهودي وانه كتب للمؤتمن فعلم المؤتمن واختفى في القصر وعندما خرج في احد الأيام قاصدا قصره في منطقة القليوب[70]، فوجه اليه صلاح الدين من قتله واجتز رأسه وجئ به الى صلاح الدين[71]، فعين محله قراقوش مملوك عمه أسد الدين[72].

وعلى اثر هذه العملية ثار الجند السوداني وكان عددهم يتجاوز الخمسين ألفا، فتصدى لهم صلاح الدين بجيشه المكون من المماليك الأسدية والصلاحية فضلا عن الأكراد الأحرار الذين انضموا الى صلاح الدين لاحقا بعد دخوله مصر، وقد قاد عملية الدفاع والتعرض أبو الهيجاء الكردي[73] **مقدم** الأكراد الاسدية وتمكن بعد يومين من القتال الدامي بين القصرين من إخراج الجند السوداني الى الجيزة[74]، فتلقاهم هناك توران شاه وقضى على البقية الباقية منهم فلم ينج منهم الا الهارب[75].

المصادر والمراجع والهوامش

1- يطلق على موطن الكرد اسم كردستان أي ارض الكرد، وهذا الجزء كان يقع ضمن أقاليم جغرافية عديدة: كالجبال واذربيجان والجزيرة واجزاء من ارمينيا، وكان يطلق عليه في مطلع العصر الاسلامي مصطلح (ديار الكرد- معاقل الكرد)، ثم اطلق على الجزء الشرقي منه إبان عصر الخلافة العباسية الى سنة 554-556 / 1159-1160م اسم كردستان، وفيما بعد شمل هذا الاسم بقية المناطق الكردية وأصبح هو الاسم المتداول للوطن الكردي حتى الوقت الحاضر.

2- دوين بلدة من نواحي آران في آخر حدود أذربيجان بالقرب من تفليس، منها ملوك الشام بنو أيوب، ياقوت الحموي- معجم البلدان، 491/2، ويذكر صاحب الشرفنامه بان دوين في عهده في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي قرية خربة تدعى كرني جغر ينظر: البدليسي باللغة الفارسية، 56، ترجمة محمد علي عوني، وهي تقع الآن ضمن حدود جمهورية ارمينيا.

3- ابن واصل، جمال الدين محمد: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، 5/1-6، شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي، المعروف بابن شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، 251/250/1.

4- الحنبلي، احمد بن إبراهيم: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم رشيد، دار الرشيد، بغداد ص22.

5- ابن خلكان: وفيات الأعيان في أنباء آخر الزمان، تحقيق احسان عباس، بيروت، 141/7.

6- Minorsky V: Studies in Caucasian History P: 109

7- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة 4/6.

8- الشحنة: وظيفة إدارية ذات شأن تضارع مهام صاحب هذه الوظيفة محافظ المدينة أو مهام رئاسة الشرطة في أيامنا، وجعل أميرها الإشراف على مهام الشؤون الإدارية وحفظ الأمن والحراسة في المدينة واستتبابه. (ابن شداد: الاعلاق الخطيرة، 918)

9- ذردار: الحافظ او الحامي، وذردار القلعة هو حامي القلعة.

10- انظر بهذا الصدد: أبو شامة: الروضتين 250/2-251، ابن خلكان: وفيات الاعيان، 141/7، ياقوت الحموي: معجم البلدان، 491/2، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 416.

11- عبدالخالق سرسام: صلاح الدين لا من (آران) ولا من (ارمينيا) بل من كردستان العراق، مجلة كولان العدد 21 في 25 شباط 1998م.

12- انظر الخارطة رقم (3) إقليم الجزيرة واذربيجان ضمن كتاب المستشرق الانجليزي لسترنج في كتاب بلدان الخلافة الشرقية.

13- كتاب صورة الأرض، 103.

14- ياقوت الحموي – معجم البلدان، 159/4.

15- اقسنقر: هو اقسنقر الذي تعني في اللغة التركية النسر الأبيض ابن عبدالله المعروف بقسيم الدولة، مملوك السلطان ملكشاه، وقيل انه لصيق به، وقيل اسم ابيه آل نزغان من قبيلة ساب يو، قتل سنة 487هـ بيد تاج الدولة تتش صاحب دمشق.

16- أتابك: كلمة مركبة من بك وهي معروفة وأتا ومعناها أب، كان هذا اللقب أولا يعطى لمن يفوضه السلطان تربية احد أولاده الصغار، وكان الاتابك يدير باسم الولد المدينة التي كانت العادة أن يوليها السلطان لابنه ثم توسعوا في معنى هذا اللقب

ومنحوه لأول المتوظفين لأمير الجيوش ثم صار السلطان يعطيه للعظماء كلقب شرف.

17- أبوشامة: عيون الروضتين، 63/1.

18- أبو شامة: عيون الروضتين في أخبار الدولتين، 63/1، والغريب ان بعض المصادر النصرانية إشارت إلى أن بهروز الخادم كان محبا للنصارى ولذا طرد أفراد الأسرة الأيوبية من تكريت. (انظر البير أبونا: تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية)، 252/2.

19- الحنبلي:شفاء القلوب، 23، 61، محمد أمين زكي: تاريخ الدول والإمارات الكردية، 170.

20- وهو عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة اقسنقر، قتل أثناء حصاره لقلعة جعبر سنة 541هـ، ترك من بعده أربعة أولاد وهم (سيف الدين غازي، ونورالدين محمود، وقطب الدين مودود، ونصرت الدين أمير أميران، وبنتا واحدة)، كما كان له الفضل في فتح إمارة الرّها سنة539هـ وانتزاعها من أيدي الصليبيين.

21- أبوشامة: المصدر نفسه، 264/1.

22- أبوشامة: المصدر السابق، 264/1.

23- ومعناه ملك الملوك وهو اخنع اسم عند الله عز وجل مصداقا للحديث النبوي الشهير، وهو شقيق صلاح الدين وأسّن منه ووالد المظفر عمر صاحب حماه، وفرخ شاه صاحب بعلب،

استشهد في ربيع الأول سنة 543هـ على يد الفرنجة. (الحنبلي: **المصدر السابق**، 49).

24- **أبوشامة: المصدر السابق**، 64/1.

25- الرحبة: بلدة تقع بين بغداد والرقة على شاطئ الفرات، بينها وبين دمشق ثمانية أيام. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، 34/3).

26- **طقوش: المرجع السابق**، 21.

27- **ابن شداد**: سيرة صلاح الدين، 7 وما بعدها.

28- **أبوشامة: المصدر السابق**، 291/1.

29- الهكاري نسبة الى منطقة هكاري الكردية الواقعة في اقليم ارمينية، وغالبية سكانها من الكرد، وحاليا مركز ولاية هكاري (جولميرك) التي تقع في كردستان تركيا، كان لسكانها مساهمات كبيرة في الحروب الصليبية.

30- العماد الاصفهاني: 81، القلقشندي: صبح الاعشى في **صناعة الإنشا**، 80/10 – 100، **طقوش: المرجع السابق**،20.

31- الشهرستاني: **الملل والنحل**، 86/1.

32- وهؤلاء يطلق عليهم الرافضة تلك الكلمة التي أطلقها عليهم الإمام زيد بن علي بن الحسين سنة 122هـ قبيل استشهاده، وهم يتركزون في ايران والعراق ولبنان والبحرين، ويطلق عليهم حاليا الشيعة الإثنا عشرية.

33- **البغدادي**: الفرق بين الفرَق، 63.

34- محمد السعيد جمال الدين (دولة الاسماعيلية في ايران، 26 نقلا عن **ادوارد براون**: تاريخ الأدب في ايران، 408/2-409 من الأصل الانجليزي.

35- الشهرستاني: **الملل والنحل**، 200-201.

36- **محمد عبدالله عنان: الحاكم بأمر الله**، 51.

37- القداح: هذا اللقب نسبة الى مهنة قداحة العيون وتطبيبها وجميع من يشتغل بذلك يطلق عليه هذا اللقب. (انظر سليمان **السلومي**: أصول الاسماعيلية، 248/1 هامش 1).

38- الديصانية نسبت الى مؤسسها ابن ديصان، أو ديصان، أو برديصان، ومذهبه قريب من المانوية، وقد اخذت منه المانوية، لانه ظهر قبل ماني، لان ماني ذكره في كتبه ورد عليه كما رأى ابن النديم انه ظهر بعد مرقيون بثلاثين عاما (الفهرست) وتشترك الديصانية مع المانوية في الاصلين القديمين: النور والظلمة، وبينهما اختلاف في اختلاط النور بالظلمة، وقد افترقت الديصانية في ذلك الى فرقتين: الاولى زعمت ان النور خالط الظلمة باختيار منه ليصلحها، فلما حصل فيهما ورام الخروج منها امتنع ذلك عليه. والثانية زعمت ان النور أراد أن يوقع الظلمة عنه فلما أحس بخشونتها ونتنها فشابكها بغير اختياره ووضع ابن ديصان مبدأ الحلول فزعم (ان نور الله قد حل فيها) متأثرا بالفرق النصرانية

ومؤثرا فيها. انظر فرست مرعي الدهوكي: محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية، صنعاء).

39- السُلمية: إحدى المدن السورية الواقعة في شرق حماه كانت تعد معقلا للاسماعيلية ولا زالت الى الوقت الحاضر.

40- الفهرست في 232-233.

41- الفرق بين الفرق: 277.

42- كشف أسرار الباطنية، 17.

43- تثبيت دلائل النبوة: 597/2.

44- المصدر نفسه 597/2.

45- الكامل في التاريخ، 125/6، ومن المعلوم ان لعبد الله القداح كتابا: اسمه (الميزان في نصرة الزندقة).

46- خطط المقريزي، 150/2.

47- عمر أبو النصر :قلعة آلموت، 65-70.

48- محمد احمد الخطيب: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، عقائدها وحكم الإسلام فيها، 62 نقلا عن الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب، 79.

49- الخطيب: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، 62 نقلا عن تاريخ الدعوة الإسلامية لمصطفى غالب، 147.

50- من المصادر السنية: لبغدادي: الفرق بين الفرق، 47، الغزالي: فضائح الباطنية، 17، ابن الأثير: اللباب في تهذيب

الأنساب، 59، ابن حزم: جمهرة انساب العرب، 61، الاسفراييني: التبصير في الدين، 83، ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 138/35-136)، اما المصادر الاسماعيلية فهي: القاضي اسماعيل بن حيون: المجالس والمسامرات، 410، استتار الإمام وهي مخطوطة نشرت في مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة – 1936، الداعي ادريس: زهر المعاني، من منتخبات المستشرق الروسي ايفانوف، 66، الداعي أبو الخطاب: غاية المواليد، 37، (انظر مصطفى غالب: إعلام الاسماعيلية، 348.

51- الغنوصية: كلمة يونانية تعني العرفان، كان لها تأثير كبير من الناحية الفلسفية على الديانتين اليهودية والنصرانية، فضلاً عن الفرق الشيعية وبعض الطرق الصوفية في الاسلام

52- أصول الاسماعيلية، 86.

53- اصول الاسماعيلية، 88-89.

54- محمد كامل حسين: طائفة الاسماعيلية، 25-26.

55- محمد الخطيب: الحركات الباطنية، 64 نقلا عن حسن ابراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، 78.

56- كشف أسرار الباطنية، 19-20.

57- سورة هود الآية 95.

58- ترجم ابن كثير: فمدة حكم العبيديين 270 سنة قمرية فقط. ولعله حاول ربط سنوات حكمهم بحكم الخلفاء الأيوبيين، علما بان مدة حكم الأيوبيين 91سنة.

59- احمد مختار العبادي: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، 45، محمد سهيل طقوش: تاريخ الأيوبيين، 23، المماليك الاسدية هم المماليك التابعين لعم صلاح الدين شيركوه.

60- طقوش: المرجع السابق، 24.

61- أبوشامة: الروضتين، 184/2.

62- عرفت مدارس الأسكندرية نظام المدارس في نهاية العهد العبيدي ابتداءً من سنة 533هـ.

63- خانقاه: لفظ فارسي معناه: بيت، جمع: خوانق، أطلق العصر الاسلامي على الأماكن المعدة للزهاد وإتباع الطرق الصوفية ومن حكمهم. كانت تجري فيه مراسيم الأذكار والأوراد التي يقوم بها الدراويش والمتصوفة. (مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، 158).

64- طقوش: المرجع السابق: 24-25.

65- تاريخ العرب، 735.

66- أبوشامة: المصدر السابق، 293/1.

67- ومعناه ملك الشرق، وهو فخر الدين توران شاه بن ايوب بن شادي فاتح اليمن سنة 569هـ وكان اكبر إخوته سنا، توفي بالإسكندرية سنة 569هـ.

68- الطواشية: لفظ فارسي- تركي معناه: مخصي، دخل العربية في العصر الاسلامي المتأخر ليصبح لقبا للخصي المملوك الذي كان يستخدم في العصور السلطانية ضمن اجنحة الحريم، والطواشي عند المماليك يقابل الآغا عند العثمانيين، ومن الطواشية رجال أعيان تولوا أعلى المناصب المدنية والعسكرية في العهد العبيدي والأيوبي والمملوكي. ومن الوظائف الهامة التي ارتبطت بفئة الطواشية الخدم في الحرم المدني (المسجد النبوي)، حيث مثوى النبي صلى الله عليه وسلم ولا تزال هذه الخدمة منوطة بأحفاد أولئك الطواشية الى أيامنا هذه (ابن الوزير: أطلق الخلوي).

69- مثله في ذلك مثل الوزير الخائن شاور الذي تحالف هو الأخر مع الصليبيين وكان جزاؤه القتل.

70- القليوب: هي من البلاد القديمة الواقعة شمالي القاهرة (النجوم الزاهرة 39/5 حاشية 4).

71- أبو شامة: المصدر السابق، 294/1-295ن الحنبلي: المصدر السابق، 72.

72- أبو سعيد قراقوش بن عبدالله الاسدي، الملقب ببهاء الدين توفي سنة 579هـ بالقاهرة (ابن خلكان: وفيات الأعيان، 54/3).

73- هو صياح الدين أبو الهيجاء السمين. كان مقدم الأكراد الاسدية، شجاعا مقداما، عارفا متجملا، توفي سنة 594هـ (النجوم الزاهرة 145/6).

74- الجيزة: قرية كبيرة جميلة البنيان على النيل من جانبه الغربي تجاه الفسطاط بمصر (أبوشامة: المصدر السابق، 295/1 هامش 1).

75- الحنبلي: المصدر السابق، 72 أبوشامة: المصدر السابق، 295/1، ومن الطريف أن جوهر الصقلي احد قواد المعز كان السبب في زوال ملك العبيديين (الفاطميين). (انظر الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، 72).

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	3
تورانشاه وفتح بلاد اليمن	13
سقوط دولة بني زريع الإسماعيلية	16
فتح صنعاء و محاولة إسقاط دولة بني حاتم	18
القضاء على نفوذ نواب تورانشاه	27
سيف الإسلام طغتكين وحملة اليمن	32
طغتكين و استعادة النفوذ الايوبي في اليمن	35
طغكتين و السيطرة على ذمار و اعمالها	39
الملك طغكتين وتصفية بقايا الصالحيين	39
طغكتين و بنو حاتم	41
فتح طغكتين صنعاء واطرافها	43
العلاقات بين الملك العزيز طغكتين والزيدية	47
اعمال الملك العزيز طغكتين	49
الملك المعز اسماعيل بن طغكتين	51
سياسة المعز تجاه الأيوبين	53
المعز وعلاقته مع أئمة الزيدية	54
مقتل الأمير سيف الدين حكو	64
مقتل المعز	67
الدولة الأيوبية واكراد زبيد	70
الدولة الأيوبية والإمام عبدالله بن حمزة	71
وفاة الملك الناصر ايوب بن طغكتين	73
السلطان سليمان بن تقي الدين الأيوبي	74
السلطان المسعود بن الكامل الأيوبي	75
السلطان المسعود الأيوبي و الإمام عبدالله بن حمزة	76
استيلاء السلطان المسعود على مكة	78
نهاية الدولة الأيوبية في اليمن	81
الكرد الأيوبين ودورهم في إرجاع مصر الى حاضرة السنة	83
صلاح الدين والقضاء على الخلافة العبيدية (الفاطمية)	92
مراحل التغير و دمج مصر بالخلافة العباسية	105
الصعوبات التي واجهته الوزير الناصر صلاح الدين	108
المصادر و المراجع و الهوامش	111

من منشورات
الاكاديمية التوعية وتأهيل الكوادر
لسنة (2010)

ت	المنشورات	المؤلف والمترجم	سنة الطبع
325	حول الفدرالية ـ النظامان السويسري والعراقي – دراسة مقارنة	كاوسين بابكر	2010
326	المركز القانوني الدولي للقوات المتعددة الجنسيات في العراق	عبدالصمد رحيم كريم زنگنه	2010
327	جلال طالباني ـ مواقف و آراء	صلاح بروارى	2010
328	قراءة البعث للفاشية التاريخية	د. البرت عيسى	2010
329	2010 سالّى كۆنگرەى رووبەڕووبوونەوە	حاكم قادر حمەجان عزيز	2010
330	پرۆژەى مەكتەبى بيروهۆشيارى بۆ دارشتنى بەرنامەى (ى. ن. ك)	عوسمان حەمە رەشيد گورون	2010
331	ئاغاو شێخ و دەولّەت	و. كوردۆ عەلى	2010
332	مێژووى فەلسەفە	و. لە سويدييەوە: عوسمان حەمە رەشيد گورون	2010
333	طالباني جورج واشنطن العراق	خليل عبدالله	2010

		ترجمة: حسن شندى	
334	العداله بين الفلسفه والقانون	اسماعيل نامق حسن	2010
335	حـــوارات ونقاشـــات فكريـــة وسياسية واجتماعية و إقتصادية	د. كاظم حبيب	2010
336	المجتمع المدني والدولة، وإشكالية العلاقة	زبير رسول احمد	2010
337	الطبيعة القانونية لعقد الزواج	زبير مصطفى حسين	2010
338	ئايين و دەسەلّات	هاشم كەريمى	2010
339	فيمينيزم	رەسول سولّتانى	2010
340	سياسة التعريب في قضاء شنكال	بيان محمد سعيد	2010
341	الامن و مستقبل السياسة الدولية	فرهاد جلال مصطفى	2010
342	زنجيرەيەك گفتوگۆى مەدەنى، عەلمانيەت و ئايين، عەقلّ و شەريعەت، كوردو ميديای عەرەبى	ئوميّد قەرەداغى	2010
343	مسرحيات و تحليل	فريدريش دورينمات ت: غسان نعسان	2010
344	رجعية القانون في الماضي على الجرائم ضد الإنسانية	زانا رفيق سعيد	2010
345	كوردەكان و مافى چارەى خۆنووسينى نەتەوەكان، زنجيرەى هۆشيارى ژمارە (1)	ئيسماعيل بێشكچى و. رەوا حاجى	2010
346	سيستمى سياسى سويسرا،	خەليل عەبدولّلا	2010

	زنجیرەی هۆشیاری ژمارە (2)		
347	ئاین و دەوڵەت لە سەردەمی محەمەد عەلی پاشادا، زنجیرەی هۆشیاری ژمارە (3)	فەرید ئەسەسەرد	2010
348	گۆڤاری کەلتور		2010
349	رۆژنامەی کوردی گۆڤاری هەولێر سالی (1970 – 1972)	ئامادەکردنی : د. هیمدادی حوسێن	2010
350	ناوچە جێناکۆکەکان، ئایندەو ئاسۆکانی چارەسەر، زنجیرەی هۆشیاری ژمارە (4)	تەحسین ناميق	2010
351	بەعەرەبکردن و بە جولەکەکردن ـ لێکۆڵینەوە، زنجیرەی هۆشیاری ژمارە (5)	فەرید ئەسەسەرد	2010
352	ئایین و ئازادیی بیروڕا زنجیرەی هۆشیاری، ژمارە (6)	ن. عەبدولڕەحمان مونیف و. عوسمان حەسەن شاکر	2010
353	نەتەوە چییە..؟ زنجیرەی هۆشیاری، ژمارە (7)	ن. ئێرنست رینان و. کامیل محەمەد قەرەداغی	2010
354	خانقین ... حکایات اعوام الرماد	یوسف یوسف	2010
355	بەعسیزم و سەرکوتکردنی ژیان	رامیار مەحمود	2010